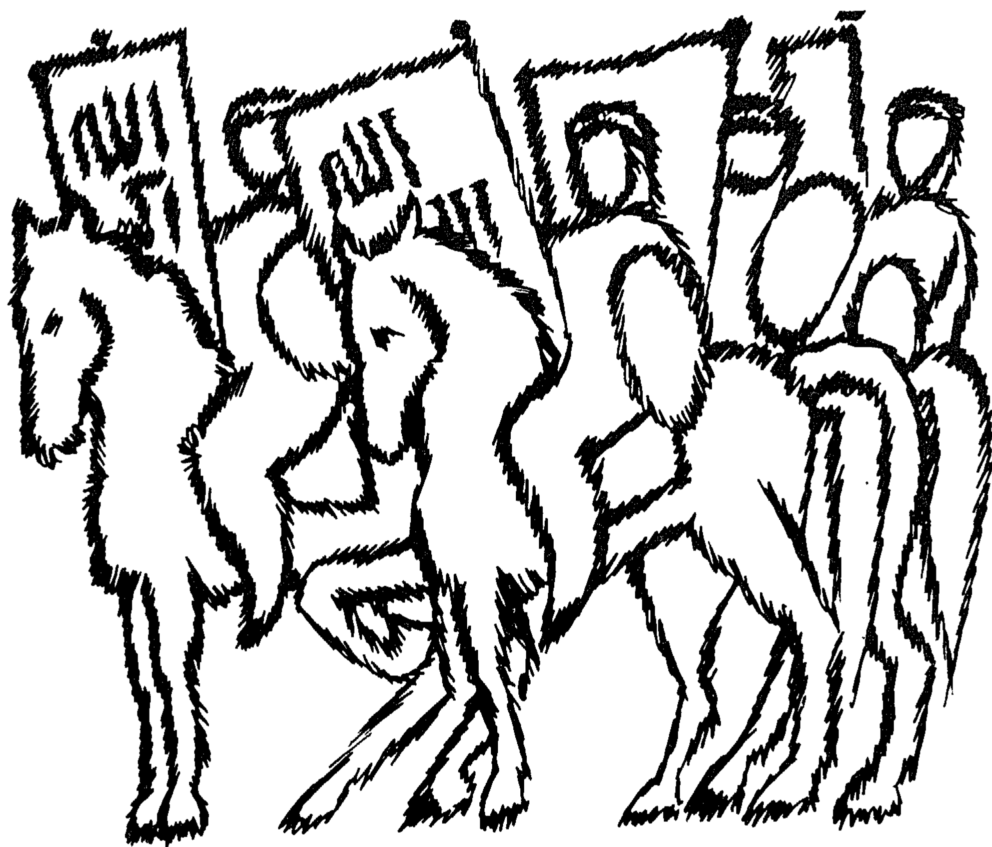
د. محمد سيد طنطاوي

السرايا الحربية في العهد النبوي



الزهراء للإعلام العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الزهراء للإعلام العربى
قســـم النشـــر

ص.ب : ١٠٢ مدينة نصر - القاهرة - تلغرافياً : زاهراتيف - تليفون ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦ - تلكس ٩٤٠٢١ رائف يوإن فاكس ٢٦١٨٢٤٠
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U .N fax 2618240

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

صدق الله العظيم
فصلت/٣٣

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

الجمع التصويرى والتجهيز
بالزهراء للإعلام العربى

تصميم الغلاف : عصمت داوستاشى
إخراج فنى : صلاح بيصـــــار



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم
الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل
الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾
صدق الله العظيم



تقديم
لفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله كتب النصر للمؤمنين ، وأعز بتأييده وتوفيقه الصادقين الصابرين من عباده المخلصين ، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله الكريم ، وقائد جيوش الموحدين ، والمبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـد

فقد رأت « الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية » بالأزهر فى هذه الظروف التى تتهيأ فيها أمتنا العربية وشعبنا العربى لخوض معركة التحرير ، وتستعد ليوم الفصل، يوم الغلبة والنصر ، أن تقدم إلى القارئ المسلم كتابها الجديد (السرايا الحربية فى العهد النبوى) للدكتور محمد السيد طنطاوى ، ليتيح لقارئه الاطلاع على تلك الحركة العسكرية الدائبة ، والتخطيط الحربى القويم ، الذى كان يضطلع بأعبائه ، ويضع أسسه ، رسول الله – ﷺ – وصحابته معه .

وإننى لعلى يقين من أننا سنحنى رءوسنا إكبارا وتقديرا ، وإعجابا بالقيادة الإسلامية اليقظة الواعية ؛ لأن فى أسلوب هذه القيادة عند بعث سراياها ، وفى حسن اختيار جنودها – من

البواسل الذين يفضلون الشهادة على الحياة - أكبر دعامة للصمود ، وكذلك فى قلة عددها وخفة تحركها ، وتحسس الأخبار من حولها وغيبة أنبائها عن عيون العدو، عوامل شدت أسباب النصر إلى جانب المسلمين فى مواجهة الحشود الكثيرة والاستعدادات المتكاملة .

وكثيرا ما يكون فى استعار أوار المعارك ألسنة من لهيب ، تذيب الأقفال الموصدة على قلوب المشركين ؛ فتنقشع من سمائها ظلمات الشرك والتقليد الأعمى ، ويتفتح البرعم الطاهر النقى فى سويداء القلب ؛ فتشتاق أوراقه البيضاء أن تسقى بنور الإيمان ، وعند ذلك يدخل الناس فى دين الله أفواجا .

لقد أُخرج رسول الله ﷺ وصحبه المؤمنون بدعوته من مكة بلدهم ، وأرغموا على ترك أهليهم وأموالهم ، لا لذنب اقترفوه ، ولا لجناية ارتكبوها إلا أن يقولوا ربنا الله ، وكانت الهجرة إلى المدينة ، البلد الآمن ، الذى آوى الرسول وصحبه ، واحتضن دعوته ، بل وتكفل الأنصار بالدفاع عنها ، ومنعوا الرسول ودعوته وصحبه مما يمنعون منه نساءهم وأموالهم ..

غير أن ذلك وحده لا يكفى لقيام الدولة الإسلامية ، ولا لإعلاء كلمة الله ، وإعلام الناس جميعا بها ، فكان لابد إذن من وضع أسس الدولة الجديدة ، والاستعداد لمواجهة المغتصب مواجهة حادة صارمة حازمة ، من أجل رد الحق المغتصب ، وتأمين الركب السائر إلى معالم التقدم ، فى موكب من نور الإيمان ، وصدق اليقين ، لتسعد البشرية كلها ، وليصحح مازاغ من عقائدها ، ويصلح ما فسد من شئونها ، ويقوم ما اعوج من أمورها .

وبعد إقامة الرسول بالمدينة مدة تقرب من نصف عام وحد فيها الجبهة الداخلية بالمؤاخاة ، وأمنها بعقد المعاهدات ، ووضع مركز انطلاقها ببناء المسجد النبوى الذى كان ديوانا عاما لمقر الحكم ، بل كان مجمعا للدواوين ، يمثل مسجدا للصلاة ، ومجلسا للقضاء ، ودارا للفتوى ، ومعسكرا للمحاربين ، ودارا للمحفوظات .. بعد ذلك وغيره – من مقدمات طبيعية وإعداد ضرورى لخوض المعارك الفاصلة المنتظرة مع الأعداء – كان لابد من بناء الجيش لخوض المعارك والتأكد من كفاءته ، والعمل على رفع مستوى هذه الكفاءة ، بالمواظبة على التدريب الشاق المتواصل ، واختيار طاقات الجنود فى مختلف الظروف ، وتحت أصعب الاحتمالات .

لذلك لم يكن الغرض من السرايا الدخول فى معارك فاصلة ، وإنما كان أهم ما تهدف إليه :

أولا : إلقاء الرعب فى قلوب الأعداء من المشركين ، وإيهامهم بأن المسلمين لم يهاجروا ضعفا ، أو استخذاء ، أو فرارا من بأس أعدائهم ، وإنما هاجروا ليعدوا لهم العدة ، ويأخذوا الأهبة لنضالهم .

ثانيا : تهديد تجارة قريش ، وزلزلة أمنها ، مما يؤثر إلى حد كبير على اقتصادياتها التى كان أساسها التجارة مع الشام .

ثالثا : تدريب الشباب المسلم وجند الله على الأعمال العسكرية الشاقة ، وعلى تحمل الصعاب ومعرفة فنون القتال فى مختلف الظروف والمناسبات .

رابعا : اكتشاف معظم المواقع حول المدينة بل بين مكة والمدينة ، والتعرف على قاطنيها من قبائل العرب وبطونهم ؛ لأنها

جميعا ميدان مجهول للمعركة المقبلة التى لم يكن يعلم على سبيل اليقين أين تقع ومتى تقع .

بدأ التحرك فى شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة ، بسرية قادها « حمزة » لاعتراض قافلة قادمة من الشام .. تتابعت من بعدها الغزوات وتوالت السرايا والبعوث ، حتى بلغت من الكثرة حدا لا يسع المرأ معه إلا أن يسجل إعجابه وتقديره لتلك القيادة الواعية ، التى استطاعت أن تمول هذه الانطلاقات ، وأن تضع لها من الخطط ما يضمن لها النصر ، ويحقق منها الأهداف .

إلا أن أخبار الانتصارات الإسلامية لم يكن مذاقها عذبا سائغا لدى الأعداء ، وإنما كانت غصة يتجرعها المستشرقون والمتعصبون ضد الدعوة فلا يكادون يسيغونها . وها هو ذا (ايرفنج) يصرح بأن الإسلام قد انتشر بحد السيف ، وتلك شائعة قديمة ، تعمد أعداء الإسلام أن يروجوا لها ، وأن يصموا بها نجاح الدعوة المحمدية .

وما قالوا ذلك إلا استخفافا بعقلية من يسمعون ، وإلا فإن الدراسة الفاحصة لتاريخ الغزوات والسرايا تثبت أنها كانت أقرب ما تكون إلى الدفاع منها إلى الهجوم .

وماعسى المسلمون أن يفعلوا وقد ظلموا وعذبوا وهجروا من ديارهم وأموالهم ؟ ! ! ولم يتحرك الرسول – ﷺ – لغزو يهود المدينة إلا بعد أن نقضوا عهود السلام التى كانت قائمة إثر انتصار المسلمين فى غزوة بدر ، وسخروا من المسلمين ، وهتكوا حرمات المسلمات ، وتآمروا على اغتيال الرسول ، ثم تعاونوا مع الأعداء ، وتحالفوا مع الأحزاب فى « غزوة الخندق » ، ونقضوا – والمعركة دائرة بينه وبين المشركين – ما

كانوا قد أبرموه معه من مواثيق للسلام .

وبمثل ذلك كان الأمر فى السرايا والبعوث ! والتاريخ شاهد صدق .. لم تنطلق سرية من قاعدتها إلا بعد أن تأكد لدى القيادة الإسلامية ما يدبره الأعداء من كيد ، وما يجمعونه من عدة وحشود .

ونظرة واحدة فى صفحات التاريخ الإسلامى ، وفى الإحصائيات العالمية ، تؤكد لنا أن السيف لم يكن عاملا هاما فى انتشار الإسلام ، وأن السواد الأعظم للمسلمين يتمركز فى الدول التى لم يكن السيف فيها عاملا ذا قيمة فى حركة تحويل الملايين عن معتقداتهم القديمة إلى الإسلام ، فإن إندونيسيا ذات المائة مليون مسلم ، والهند والصين وسواحل أفريقية ، كل هذه الملايين قد آوت إلى رحاب الإسلام بالوسائل الهادئة ، بالإقناع وبالرغبة ، وبالحكمة والموعظة الحسنة ، وجاء إسلامها نتيجة للتأمل المستنير ، والإدراك الواعى لسمو ما جاء به الإسلام من مبادئ ، وما رسمه للإنسانية من طرق الخلاص من مهلكاتها ، والأمن والسلام فى حياتها .

نضيف إلى ذلك : أن بقاء الأديان الأخرى فى ظل الحكومات الإسلامية ، وتمتعها بالحرية الكاملة ، فى ممتلكاتها ومعتقداتها ، وفى أداء شعائر دينها .. حقيقة يشهد بها تاريخ الأديان ، ولا يجرؤ على إنكارها المنصفون من بنى الإنسان .

ولكن على النقيض من ذلك يسجل التاريخ القديم ما كابده المسلمون فى « الأندلس » ويصور لنا أنهارا من الدماء تسيل بها شوارعها ، وألوانا أخرى من التعسف والكبت والتعذيب ، أشرفت عليها « محاكم التفتيش » فى ظل الحكومات القائمة ، وما

بقى من المسلمين فى « الأندلس » ، هو ما يعلمه الجميع من أعداء وأصدقاء .

وما تزال صفحات التاريخ فى وقتنا هذا تسجل كل يوم على الحكومات غير الإسلامية جرائم ومخازى ترتكب ضد المسلمين ، تحرمهم من حقوقهم فى التملك ، وتحول بينهم وبين التزود بثقافة دينهم ، وتقف دون استخدامهم فى وظائف الدولة ، وبالرغم من أنهم أكثرية الشعب لكنهم يعيشون فى ظل حكومة ديكتاتورية متعصبة !

دعنا أخى القارئ من ذلك كله وتعال معى نطل من خلال هذه الصفحات على تاريخ حافل للبطولة الإسلامية ، فشبابنا اليوم أحوج مايكون إلى هذا الزاد ليكون لهم منه معالم حية ، تضىء أمامهم طريق التحرر والنصر ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾ .

وإنه لمن حق المؤلف علينا أن نقدم له الشكر ، على ما بذله من جهد موفق فى خدمة هذا الموضوع ، وجزاه الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون﴾ .

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

دكتور محمد عبد الرحمن بيصار

مقـدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن دراسة مغازى رسول الله – ﷺ – وسراياه ، تهدى إلى الرشد ، وتحمل على الاتعاظ والاعتبار ، وتغرس فى النفوس الشعور بالعزة والكرامة والإباء ، وتصل المسلمين بماضيهم المجيد ، وبتاريخهم العظيم .

ولقد كان أسلافنا الصالحون ينشئون أولادهم على معرفة غزوات رسول الله – ﷺ – وسراياه ، ويقفونهم على ما فيها من ألوان الخير والتضحية والأخوة والإيثار .

قال زين العابدين على بن الحسين : كنا نعلم أولادنا مغازى رسول الله – ﷺ – كما نعلمهم السورة من القرآن .

وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص قال : « كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا ويقول : « يابنى ، هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها » .

وهذا البحث الذى أقدمه عن « البعوث والسرايا

الحربية فى العهد النبوى » دفعنى إلى كتابته أمور من أهمها : أن الظروف التى نعيشها فى هذه الأيام تحتم علينا أن نتدبر غزوات رسول الله - ﷺ - وسراياه وبعوثه ؛ حتى نأخذ منها الدروس النافعة ، التى تعيننا على الصمود فى وجه البغاة المفسدين ، والتى تدفعنا إلى مواصلة الجهاد فى سبيل الله بإيمان عميق ، وعزيمة صادقة ، وخطة محكمة ، وصلابة لا تعرف الخور أو التردد ، وحتى يتحقق لنا النصر - بعون الله - على أعدائه وأعدائنا الذين يجثمون على بقاع غالية عزيزة من أوطاننا .

كذلك مما دعانى إلى الكتابة فى هذا الموضوع أننى وجدت كثيرا من المثقفين - فضلا عن غيرهم - لا يكادون يعرفون شيئا عن تلك السرايا والبعوث لإعلاء كلمة الله ، وتأديب الصادين عن سبيله ، والمحاربين لدينه .

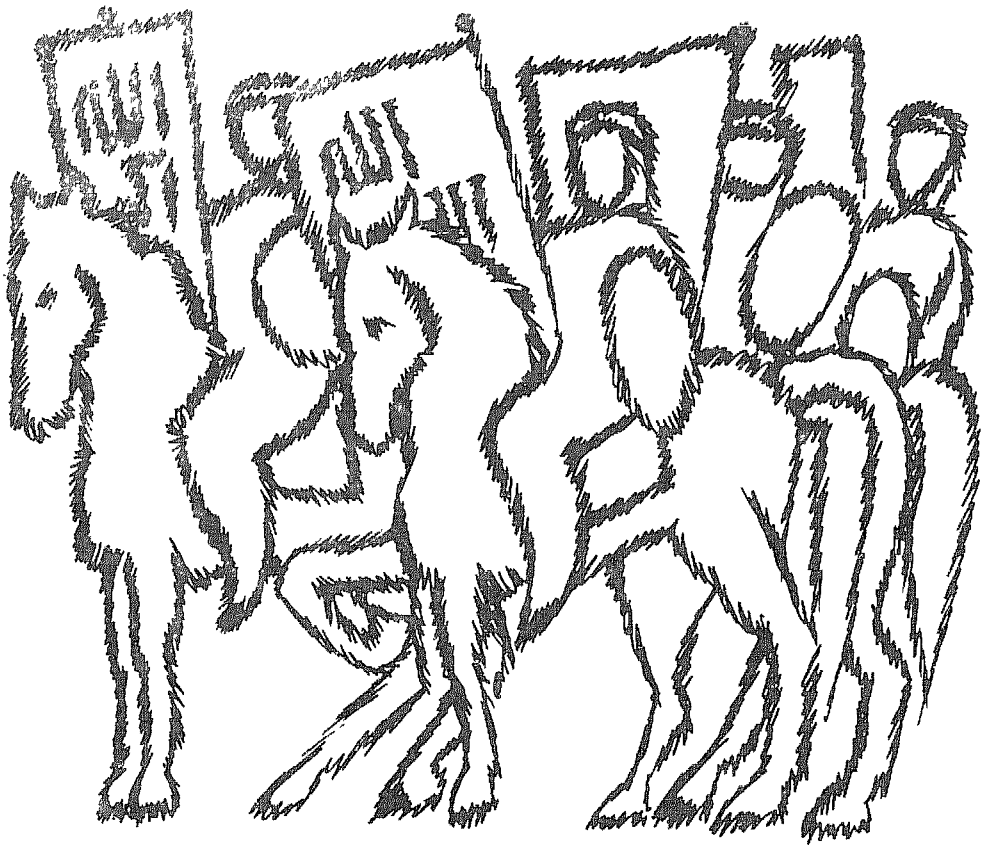
وقد حاولت فى هذا البحث أن أبين ما تم فى العهد النبوى من بعوث وسرايا ، بأسلوب علمي محرر من الحشو والدخيل ، معتمدا فى ذلك على أوثق المصادر وأجمعها .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ونافعا لعباده ، إنه على ما يشاء قدير ، نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،

محمد سيد طنطاوى
مفتى الديار المصرية
غرة رمضان سنة ١٤٠٩
٧ / ٤ /١٩٨٩

بين السَّرية
والغـــزوة





السرية : طائفة مختارة من الجيش يرسلها الإمام لقتال أعدائه ، أو إرهابهم ، أو استكشاف أحوالهم ، أو غير ذلك من المقاصد التى تعود بالخير على المسلمين ، وسميت سرية لأنها تسرى خفية ، أى تتحرك فى تكتم وتستر ، وتبدأ من خمسة أشخاص ، وقد تصل إلى أربعمائة .

قال صاحب لسان العرب : « والسرية قطعة من الجيش ما بين خمسة أنفس إلى ثلثمائة ، وقيل : هى من الخيل نحو أربعمائة . يقال : وخير السرايا أربعمائة رجل . وسميت سرية لأنها تسرى ليلا فى خفية لئلا يعلم الأعداء فيحذروا أو يمتنعوا » وقيل : سميت سرية لأن أفرادها يكونون خلاصة العسكر وخيارهم ، مأخوذ من الشىء السرى النفيس . وفى الحديث « يرد متسريهم على قاعدهم » ومعنى الحديث : أن الإمام أو أمير الجيش يبعثهم وهو خارج إلى بلاد العدو ، فإذا غنموا شيئًا كان بينهم وبين الجيش عامة ؛ لأنهم ردء لهم وفئة ، فأما إذا بعثهم وهو مقيم فإن القاعدين معه لا يشاركونهم فى المغنم ، وإن كان جعل لهم نفلا من الغنيمة لم يشركهم غيرهم فى شىء منه (١) .

وقال عند كلامه عن مادة « بعث » : « بعثه يبعثه بعثاً أرسله

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١٩ ص ١٠٥ . طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة .

وحده ، وبعث به أرسله مع غيره . والبعث : الرسول ، والجمع بعثان ، والبعث : بعث الجند إلى الغزو ، وقولهم : كنت فى بعث فلان أى فى جيشه الذى بعث معه ، والبعوث الجيوش »(١).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى : « والسرية قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه ، وهى من مائة إلى خمسمائة ،فما زاد على خمسمائة يقال له مَنْسِر ، فإن زاد على الثمانمائة يسمى جيشاً ، فإن زاد على أربعة آلاف يسمى جحفلا ، فإن زاد فجيش جرار . والخميس : الجيش العظيم ، ومافترق من السرية يسمى بعثًا »(٢).

وقد تطلق السرية على العدد الذى يقل عن الخمسة عند بعض العلماء ، قال الإمام محمد بن الحسن الشيبانى : « ولا بأس للإمام أن يبعث الرجل الواحد سرية أو الاثنين أو الثلاثة إذا كان محتملا لذلك ، لما روى من أنه - ﷺ - بعث حذيفة بن اليمان فى بعض أيام الخندق سرية وحده ، وبعث عبد الله بن أنيس سرية وحده ، وبعث ابن مسعود وخبابا سرية .

والذى روى من أن النبى - ﷺ - نهى أن تبعث سرية دون ثلاثة نفر تأويله من وجهين : إما أن يكون ذلك على وجه الإشفاق على المسلمين من غير أن يكون ذلك مكروها فى الدين ، وإما أن يكون المراد بيان أن من الأفضل ألا يخرج أقل من ثلاثة ليتمكنوا من أداء صلاة الجماعة على هيئتها بأن يتقدم أحدهم ويصطف الاثنان خلفه » (٣) .

ونحن فى هذا البحث سنختار ما اصطلح عليه جمهور العلماء وأهل

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٢ ص ٤٢١ طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(٢) فتح البارى لابن حجر ج ٩ ص ١١٨ طبعة الحلبى .

(٣) شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيبانى ج ١ ص ٦٩ . تحقيق الدكتور صلاح المنجد .

السير من أن كل عسكر حضره النبى - ﷺ - بنفسه الكريمة فإنه يسمى غزوة ، ومالم يحضره بل اختار بعضا من أصحابه فأرسلهم إلى أعدائه ، دون أن يكون معهم،فإنه يسمى سرية وبعثا ، وهذا هو الفرق بين الغزوة والسرية .

عدد الغزوات والسرايا

للعلماء أقوال متعددة فى عدد الغزوات والسرايا التى تمت فى العهد النبوى ، والذى عليه أئمة المغازى كابن إسحاق ، وابن سعد ، والواقدى وغيرهم ، أن الغزوات التى حضرها النبى - ﷺ - بنفسه تبلغ سبعاً وعشرين غزوة .

قال محمد بن إسحاق : « وكان جميع ما غزا رسول الله - ﷺ - بنفسه سبعا وعشربن غزوة ، منها :

١ - غزوة وَدَّان وهى غزوة الأبواء .
٢ - ثم غزوة بُوَاط من ناحية رَضْوَى .
٣ - ثم غزوة العشَيْرة من بطن ينبع .
٤ - ثم غزوة بدر الأولى بطلب كرز بن جابر .
٥ - ثم غزوة بدر الكبرى التى قتل الله فيها صناديد قريش .
٦ - ثم غزوة بنى قينقاع .
٧ - ثم غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب .
٨ - ثم غزوة غطفان وهى غزوة ذى أَمَرّ .
٩ - ثم غزوة بَحْران معدن بالحجاز .
١٠ - ثم غزوة أُحُد .
١١ - ثم غزوة حمراء الأسد .
١٢ - ثم غزوة بنى النضير .
١٣ - ثم غزوة ذات الرقاع .

١٤ ـ ثم غزوة بدر الآخرة .
١٥ ـ ثم غزوة دومة الجندل .
١٦ ـ ثم غزوة الخندق .
١٧ ـ ثم غزوة بنى قريظة .
١٨ ـ ثم غزوة بنى لحيان من هُذَيل .
١٩ ـ ثم غزوة ذى قَرَد .
٢٠ ـ ثم غزوة بنى المصطلق .
٢١ ـ ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصده المشركون .
٢٢ ـ ثم غزوة خيبر .
٢٣ ـ ثم عمرة القضاء .
٢٤ ـ ثم غزوة الفتح الأعظم .
٢٥ ـ ثم غزوة حنين .
٢٦ ـ ثم غزوة الطائف .
٢٧ ـ ثم غزوة تبوك .

ثم قال : « وقد قاتل النبى ﷺ – فى تسع غزوات هى :بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف [١] .

ويرى بعض العلماء أن عدد غزواته – ﷺ – يبلغ ستا وعشرين ، وقيل : خمسا وعشرين ، وقيل : أربعا وعشرين ، وقيل : إحدى وعشرين ، وقيل تسع عشرة .

قال صاحب المواهب : « ويمكن الجمع – على نحو ما قال السهيلى – بأن من عدها دون سبع وعشرين نظر إلى شدة قرب بعض الغزوات من

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٨٠ طبعة المكتبة التجارية .

غيره ، فجمع بين غزوتين وعدهما واحدة ، فضم لغزوة الأبواء غزوة بواط لقربهما ، إذ الأبواء فى صفر وبواط فى ربيع الأول ، وضم حمراء الأسد لأحد لكونها صبيحتها ، وضم قريظة للخندق لكونها ناشئة عنها ، وضم وادى القرى لخيبر لوقوعها فى رجوعه من خيبر قبل دخول المدينة ، وضم الطائف لحنين لانصرافه منها ...» (١) .

أما عدد البعوث والسرايا التى أرسلها النبى -ﷺ- فى حياته فيرى ابن سعد فى طبقاته أنها تبلغ سبعاً وأربعين (٢) وقال ابن إسحاق : « كانت بعوثه - ﷺ - وسراياه ثمانيا وثلاثين بعثا وسرية .. » (٣) .

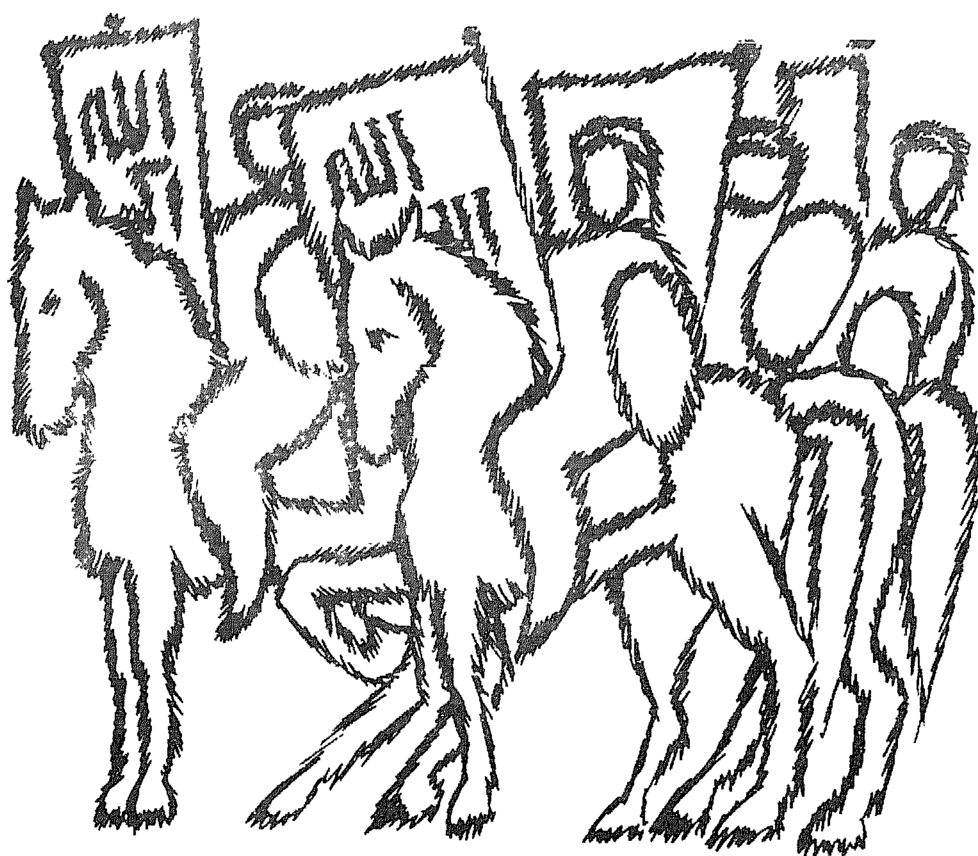
وقال ابن عبد البر : كانت بعوثه وسراياه خمساً وثلاثين . وقيل غير ذلك . ويبدو أن رأى ابن سعد هو الرأى الراجح ؛ لأن المحصى بدقة وعناية للسرايا والبعوث التى تمت فى العهد النبوى يجدها قريبة مما قاله - رحمه الله - .



---

(١) شرح المواهب للزرقانى ج ١ ص ٣٨٨ ، طبعة المطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٥ هـ .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٢ . طبعة دار التحرير .
(٣) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٨١ .

أهداف السرايا





من المعروف أن الرسول - ﷺ - لم يرسل بعوثه وسراياه إلا بعد أن شرع الله له القتال فى سبيله ، من أجل إعلاء كلمته ، ورفع الظلم الذى نزل بالمسلمين من أعدائهم .

قال تعالى : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُم ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِم لَقَدِير * الَّذِينَ أُخرِجُوا مِنْ دِيارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَولَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهُدِّمَت صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرا وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز** ﴾[1] .

وقد أذن الله للمسلمين بالقتال بعد أن أسس النبى - ﷺ - الدولة الإسلامية الفتية بالمدينة على العقيدة السليمة ، والأخوة الصادقة ، وإيثار الموت فى سبيل الله على كل مغريات الحياة .

وقد بادر النبى - ﷺ - بإرسال بعوثه وسراياه بعد ذلك إلى مختلف الأماكن لمقاصد سامية ، وحكم عالية ، وأهداف نبيلة ، من أهمها مايلى :

١ - مطاردة القوافل التجارية التى يملكها مشركو مكة ، ومصادرتها لصالح

(١) سورة الحج الآيتان : ٣٩ ، ٤٠ .

المسلمين ، عند ذهابها إلى بلاد الشام أو عودتها منها ، وقتل الذين يقومون بحراسة هذه القوافل من مشركى مكة أو أسرهم .

إذ فى ذلك شفاء لصدور المؤمنين الذين كانوا يعيشون فى بلدهم مكة آمنين مطمئنين ، فأخرجوا منها بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، وفيه – أيضاً – تعويض لهم عما فقدوه من أموال انتهبها المشركون منهم ظلماً وعدواناً .

ولعل هذا هو السر فى أن جميع السرايا التى بعثها النبى – ﷺ – قبل غزوة بدر للإغارة على تجارة قريش ، كان جميع أفرادها من المهاجرين دون الأنصار ؛ لأن المهاجرين هم الذين اكتووا بنار قريش وظلمها وبطشها ، أما الأنصار فقد كانوا عاهدوا النبى – ﷺ – فى بيعة العقبة على نصرته ، إذا ما داهم المشركون المدينة .

٢ – إفهام قريش بأن عهود الضعف التى كان المسلمون يعيشونها فى مكة ولت إلى غير رجعة ، وأنهم أقاموا فى المدينة دولة قوية عزيزة تستطيع أن ترهب قريشاً ، وأن تزلزل كيانها ، وأن تلحق بها الأضرار الفادحة .

فعلى قريش أن تثوب إلى رشدها ، وأن تتفاهم مع المسلمين تفاهماً يقى الطرفين شرور العداوة والبغضاء ، ويكفل للدعوة الإسلامية أن تأخذ مكانها تحت الشمس بحرية وأمان وانطلاق ، ويبيح للمسلمين فى كل مكان أن يدخلوا مكة وأن يطوفوا بالبيت العتيق .

وعليها – أيضاً – أن توقن بأنها إذا لم تفعل ذلك ، بل تمادت فى غرورها وعنادها ، فإن سرايا المسلمين قادرة على أن تقتص من كل باغ عليهم قصاصا يُخيفه ويروعه .

ولقد بدأت قريش بعد اعتراض السرايا الإسلامية لقوافلها –

تقدر قوة المسلمين حق قدرها ، وتسلك بتجارتها طرقاً أخرى بعيدة عن المدينة حتى لاتتعرض لتهديد المسلمين لها .

٣ - إشعار كل مناوئ للدعوة الإسلامية من اليهود والمنافقين وأعراب البادية الضاربين حول المدينة ، وغيرهم من الطوائف التى تسير فى ركاب قريش أو تؤذى المسلمين باللسان أو اليد - إشعار هؤلاء جميعا بأن أتباع الدعوة الإسلامية قادرون على إرهاب أعداء الله وأعدائهم ، وفى إمكانهم أن يزهقوا روح كل إنسان يتطاول على عقيدتهم أو ينتقص من شأن دينهم .

ولقد خرست الألسن التى كانت تهون من شأن المسلمين ، وذلت نفوس اليهود والمنافقين وأصحاب القلوب المريضة ، بعد أن رأوا سرايا رسول الله - ﷺ - تقتص من الذين يحاربون الله ورسوله ، فتزهق أرواحهم فى عقر دارهم ، كما حدث بالنسبة لكعب ابن الأشرف ، وأبى عفك اليهودى ، وعصماء بنت مروان ، وسفيان الهذلى ، وابن أبى الحقيق ، وأُسَيْر بن رزام وغيرهم .

٤ - التعرف على أحوال الأعداء ، ورصد تحركاتهم ، واستكشاف ميولهم واتجاهاتهم ، وبذلك يكون المسلمون قد فهموا طبيعة أعدائهم ، وما هم عليه من قوة أو ضعف ، فيتمكنوا من إعداد السلاح الذى يكفل لهم النصر عليهم .

ولقد كان هذا المقصد واضحا فى وصايا رسول الله - ﷺ - لبعض سراياه ، فعندما بعث - ﷺ - عبد الله بن جحش للتعرض لعير قريش ، أعطاه كتاباً مختوماً وأمره ألا يفتحه إلا بعد مسيرة يومين ، وكان فيه : « إذا نظرت فى كتابى هذا ، فامض حتى تنْزل نخلة بين مكة والطائف فترصَّد بها قريشاً ، وتعلَّم لنا من أخبارهم » .

ولقد تأسى الصحابة بهذا التوجيه النبوى الكريم ، فكانوا

يوصون قادتهم بالتعرف على أحوال أعدائهم ، فهذا عمر – رضى الله عنه – يوصى سعدا فيقول له :« تعرف الأرض كلها معرفة أهلها » ويقول له – أيضاً – أذك العيون [1] بينك وبينهم ، ولايخف عليك أمرهم » . وأوصى الإمام على ابنه محمداً بأن يستكمل دراسته لأحوال عدوه فقال له : « ارم ببصرك أقصى القوم » .

أى : كن عليما بجميع حركات أعدائك ، ومواقعهم وأعدادهم وأسلحتهم حتى تكون على بصيرة من أمرهم فتقاتلهم بالسلاح الذى يهزمهم .

وقال الإمام الرخى : « وليس المقصود من بعث السرايا القتال فقط ، بل تارة يكون المقصود من ذلك أن يتحسسوا أخبار الأعداء ، وقد يكون تمكن الواحد من الدخول بين الأعداء لتحصيل هذا المقصود أظهر من تمكن الاثنين أو الثلاثة ، ولهذا كان الرأى فيه إلى الأمير يعمل بما فيه خير المسلمين » [2] اهـ ملخصا .

٥ – تثبيت هيبة المسلمين فى نفوس أعدائهم ، وإدخال الوهن والفزع فى قلوبهم ، عن طريق تلك البعوث والسرايا التى كانت تشن الغارة على كل معتد أثيم ، سواء أكان فى شمال الجزيرة أو فى جنوبها ، فى شرقها أو فى غربها ، فى الشتاء أو فى الصيف . ولاشك أن هذا العمل الجرىء من جانب المسلمين يجعل أعداءهم يخشون بأسهم ، ويخضعون لإرادتهم ، ويقفون منهم موقف الضعيف من القوى . وأعتقد أنه لولا هذه السرايا والبعوث التى أظهرت قوة المسلمين وبطولتهم لطمع فيهم أعداؤهم .

---

(١) أذكى النار : أوقدها . وأذكى العيون : نشر الرجال وبثهم لجمع أخبار أعدائه .

(٢) شرح كتاب السير الكبير للشيبانى ج ١ ص ٧٠ مطبعة مصر سنة ١٩٥٨ .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَااسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُم** ﴾ (١) .

ولقد استجاب النبى – ﷺ – لهذا الأمر ، فقاد سبعا وعشرين غزوة فى أقل من عشر سنوات ، وأرسل زهاء خمسين سرية وبعثا من أجل نصرة الحق وتأديب أعدائه .

وكان من نتائج ذلك أن علت راية الإسلام فى الآفاق ، وأضحت كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

ولقد صرح – ﷺ – بأنه يود أن يخرج مع كل سرية يرسلها فقال : « والذى نفسى بيده لولا أن شق على المسلمين ما قعدت خلاف (٢) سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولايجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى ، والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » (٣) .

٦ – دعوة الناس إلى الدين الحق ، وإرشادهم إلى ما يسعدهم فى دينهم ودنياهم . وقد كان ذلك هو المقصد الأساسى لكل بعث أو سرية لرسول الله – ﷺ – وما لجأت سراياه وبعوثه إلى القتال إلا بعد أن أبى الأعداء الاستجابة للهدى ، وأصروا على العناد والضلال .

ولقد كان – ﷺ – يوصى أمراء السرايا والبعوث بما طبع عليه من الأخلاق السامية ، والآداب العالية .

فعن أنس – رضى الله عنه – أن النبى – ﷺ – قال : « انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، ولاتقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلا صغيراً

---

(١) الآية ٦٠ من سورة الأنفال .

(٢) أى ماتخلفت عنها .

(٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

ولا امرأة ، ولاتغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين »[1] .

وعندما أعطى النبى – ﷺ – الراية لعلى فى غزوة خيبر ، قال له على : يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال – ﷺ – « انفُذْ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم »[2] .

ولقد نفذ على – رضى الله عنه – وصية رسول الله ، فعندما وصل إلى حصون أعدائه دعاهم إلى الإسلام ثلاث مرات ، ولكنهم عموا وصموا عن الحق فلم يجد مفرًّا من قتالهم .

وعندما أرسل النبى – ﷺ – عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجَنْدل ، أقعده بين يديه وعممه بيده ، ثم أوصاه بقوله : « اغز باسم الله وفى سبيل الله ، فقاتل من كفر ولا تغل ، ولاتغدر ، ولاتقتل وليدا » ثم قال له : « إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم » .

ولقد نفذ عبد الرحمن بن عوف وصية رسول الله أكمل تنفيذ ، فمكث ثلاثة أيام يدعو أهل دومة الجندل إلى الإسلام بعد وصوله إليهم ، وقد استجاب معظمهم له فى اليوم الثالث ، وكان من بين الذين استجابوا له الأصبغ بن عمرو الكلبى زعيم القوم ، فتزوج عبد الرحمن بن عوف إبنته تلبية لوصية رسول الله ، وتوطيداً لعوامل الود والمحبة بين الناس .

وعندما خرج – ﷺ – ليودع الجيش المتجه إلى مؤتة كان مما قاله لأفراده : « أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا ، اغزوا باسم

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) صحيح البخارى . باب غزوة خيبر ج ٥ ص ١٧١ .

الله فى سبيل الله من كفر بالله ، ولاتغدروا ، ولا تغلوا ، ولاتقتلوا وليدا ، ولاامرأة ، ولا كبيراً ولا فانيا ، ولامنعزلا فى صومعة ، ولا تقربوا نخلا ، ولا تقطعوا شجرا ، ولا تهدموا بناء» (١) .

وكانت هذه السرايا والبعوث تخرج لمهام معينة لا تتجاوزها ، فهى لا تقاتل كل من يقابلها فى طريقها ، وإنما تقاتل فقط من أمرها النبى - ﷺ - بقتاله .

تدبر معى تلك القصة التى تؤيد ذلك : أرسل النبى - ﷺ - عمر ابن الخطاب على رأس ثلاثين رجلا لقتال هوازن . وكان مع المسلمين دليل ليدلهم على ديار القوم . فلما وصل عمر إليهم وجدهم قد هربوا من ديارهم ..

وبعد أن يئس عمر من العثور عليهم قفل راجعاً إلى المدينة بمن معه ، وفى الطريق قال الدليل - وكان رجلا من بنى هلال - لعمر : « ياعمر ، هل لك فى قتال جمع آخر من خثعم لتغنم منهم الكثير ؟ ، فقال له عمر : إن رسول الله - ﷺ - لم يأمرنى إلا بقتال هوازن فى أرضهم ، ولم يأمرنى بقتال غيرهم ، ولو أمرنى لفعلت » .

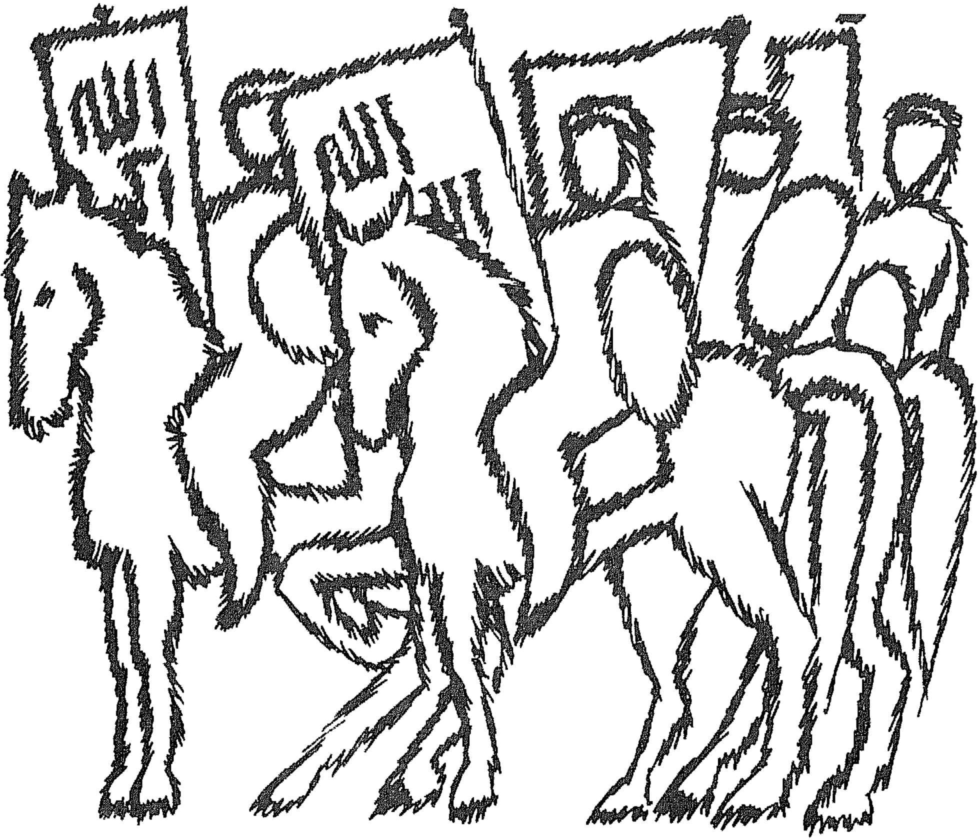
وهكذا نجد أن بعوث النبى - ﷺ - وسراياه ، كان الهدف الأساسى منها نشر دين الله فى الأرض ، وإرشاد الناس إلى كل خير وفلاح ، وتأديب الضالين والغادرين الذين إن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا .



---

(١) شرح المواهب للزرقانى ج ٢ ص ٢٦٩ .

سَرايا السّنة الأولى مِن الهجرة





١ – سرية حمزة إلى العيص :

فى شهر رمضان من السنة الأولى أرسل النبى – ﷺ – عمه حمزة ابن عبد المطلب فى ثلاثين رجلا من المهاجرين ، وعقد له لواء أبيض حمله أبو مرثد كناز بن الحصين الغنوى حليف حمزة بن عبد المطلب . وكان الهدف من إرسال هذه السرية اعتراض عير لقريش قادمة من بلاد الشام فى طريقها إلى مكة ، بقيادة أبى جهل بن هشام ومعه ثلثمائة رجل من المشركين ، فسار حمزة ومن معه إليها حتى وصل ساحل البحر من ناحية العيص (١) فالتقى بتجارة قريش هناك ، واستعد الفريقان للقتال مع أن عدد المسلمين كان عشر عدد المشركين تقريباً ، ولكن القتال لم يتم لأن « مجدى بن عمرو الجهنى » حجز بينهم ، فتوجه أبو جهل ومن معه إلى مكة ، وعاد حمزة وصحبه إلى المدينة .

ولقد شكر النبى – ﷺ – « مجدى بن عمرو » على محاجزته بين الفريقين ، نظراً لقلة عدد المسلمين بالنسبة للمشركين .

---

(١) العيص : اسم موضع على ساحل البحر كانت تسلكه قريش وهى فى طريقها للتجارة بالشام .

وينسب بعض المؤرخين لحمزة شعراً قاله بهذه المناسبة ، ومنه قوله :

فلما تراءينا أناخوا فعقَّلوا مطايا ، وعقَّلنا مدى عَرض النَّبل
فقلنا لهم حبل الإله نصيرنا وما لكم إلا الضلالةُ من حبل
فثار أبو جهل هنالك باغيًا فخاب ورد الله كيدَ أبى جهل
وما نحن إلا فى ثلاثين راكبا وهم مائتان بعد واحدةٍ فضل
فيال لُؤَى لا تطيعوا غواتكم وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهل
فإنى أخاف أن يُصبَّ عليكم عذابٌ فتدْعوا بالندامة والثكل

٢ ـ سرية عُبَيدة إلى رابغ :

وفى شهر شوال أرسل النبى ـ ﷺ ـ ابنَ عمه عُبَيدة بن الحارث فى ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ، وعقد له لواء أبيض حمله « مسطح ابن أُثاثة » وذلك لكى يعترض عيراً لقريش يحرسها مائتا رجل من أهل مكة على رأسهم أبو سفيان (١) بن حرب فسار عبيدة ومن معه من المسلمين حتى التقوا بعير قريش ببطن رابغ (٢) ، قال ابن هشام . « فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمى به فى الإسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم » (٣) .

(١) هذا ماذكره ابن سعد ، أما ابن إسحاق فذكر أنه كان على رأسهم عكرمة بن أبى جهل ، وقيل كان على رأسهم مكرز بن حفص .

(٢) واد بين الحرمين قرب البحر على بعد عشرة أميال من الجحفة .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٤ . طبعة المكتبة التجارية .

وبعد انصراف كل من الفريقين عن الآخر ، ولى المشركون الأدبار مسرعين السير إلى مكة خوفا من أن يكون للمسلمين كمين أو مدد ، وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرَانى وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار .

٣ ـ سرية سعد :

وفى شهر ذى القعدة من السنة الأولى بعث النبى – ﷺ – سعد ابن أبى وقاص فى عشرين [١] رجلا من المهاجرين إلى الخرار [٢] لكى يعترض عيراً لقريش كانت محملة بالأطعمة والأكسية . وعهد إليه ألا يتجاوز ذلك المكان لأنها ستمر به منه .

قال سعد – رضى الله عنه – « فخرجنا على أقدامنا فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحناها صبح خمس ، فوجدنا العير قد مرت بالأمس فانصرفنا إلى المدينة [٣] » .

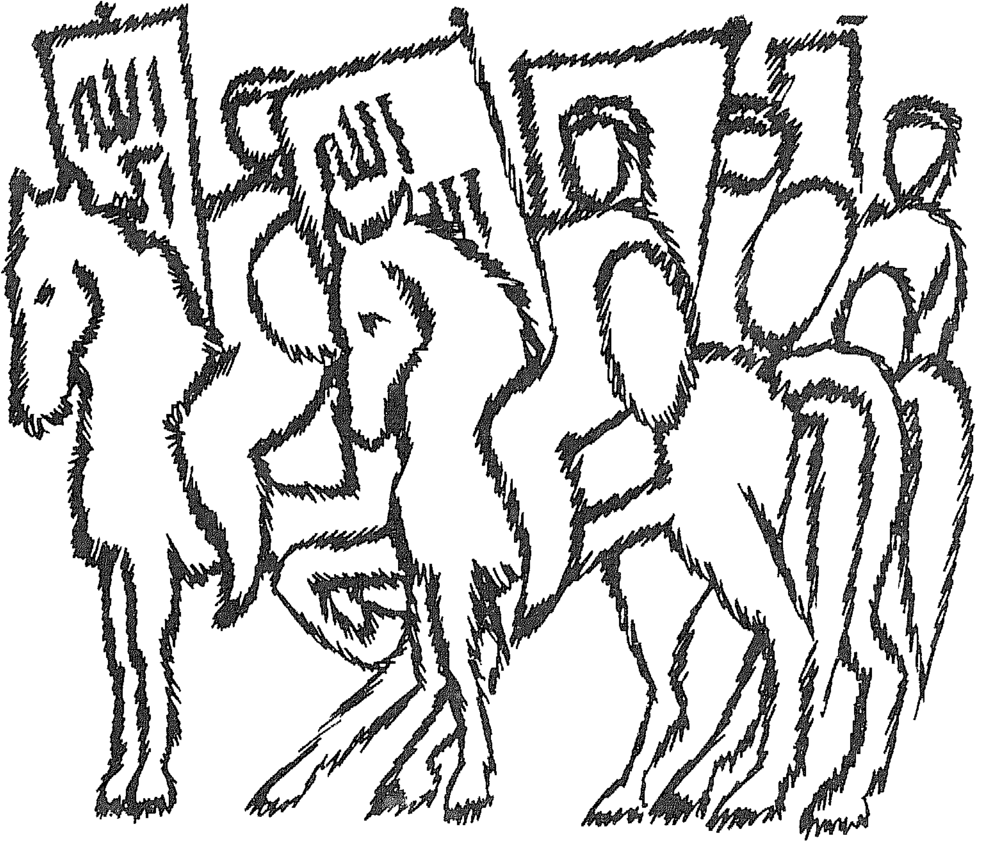
هذا ، وقد كانت هذه السرايا الثلاث فى الثلث الأخير من السنة الأولى للهجرة ، وبعد أن أذن الله للمسلمين بالقتال حماية للحق ، ودفعاً للظلم وقمعاً للعدوان ، وكان جميع الذين اشتركوا فيها من المهاجرين دون الأنصار .



---

(١) هذا ماجاء فى الطبقات لابن سعد ، وعند ابن هشام أن الذين معه كانوا ثمانية رجال .
(٢) الخرار : واد فى الحجاز يصب فى الجحفة .
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد : ج ٢ ص ٤ .

سرايا
السنة الثانية





١ – سرية عبد الله إلى نخلة :

وفى شهر رجب من السنة الثانية أرسل النبى – ﷺ – عبد الله ابن جحش ومعه اثنا عشر رجلا [١] كلهم من المهاجرين ، وأعطاه كتابا مختوما ، وأمره ألا يفتحه إلا بعد أن يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ولا يستكره أحداً من أصحابه ، فسار عبد الله يومين ثم فتح الكتاب فإذا فيه : « إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم »[٢].

فقال عبد الله بعد أن قرأ الخطاب : سمعاً وطاعة ، ثم قال لأصحابه قد أمرنى رسول الله – ﷺ – أن أمضى إلى نخلة أرصد بها قريشاً حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق معى ، ومن كره ذلك فليرجع ؛ فأما أنا فسأمضى لتنفيذ أمر رسول الله – ﷺ – ثم عاد يقول : « من كان يريد الموت فليمض وليوص فإنى موصٍ وماض لأمر رسول الله – ﷺ – واستجاب الجميع لنداء البطولة والشرف ؛ وقال الجميع لعبد الله : ونحن سنمضى معك فلست أحرص على الشهادة منا .

---

(١) وقيل كان الذين معه ثمانية رجال .
(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٣٩ .

وهكذا تكون إثارة حوافز التضحية فى القلوب بلا إرغام ولا احتيال ؛ فمما لا شك فيه أن النبى - ﷺ - كان يعرف نقاء معدن هؤلاء الرجال ، ولكنه ترك الخيار فى هذا الموطن ليزدادوا ثقة ورضا ، وليقوموا بما كلفوا به من أعمال عن طواعية واختيار .

ولعله - ﷺ - لم يخبرهم وهم بالمدينة بمهمتهم ، خوفاً من شيوع الخبر فيدل عليهم الأعداء من المنافقين أو اليهود فتترصد لهم قريش . ولا يخفى أن عدد أفراد السرية كان قليلا .

ثم سار عبد الله بمن معه إلى المكان الذى حدده له النبى - ﷺ - حتى إذا وصل إلى موضع يقال له بَحْران تخلف عنه سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان ؛ لأن بعيرهما الذى كانا يتعاقبان ضل منهما فأخذا يبحثان عنه ، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى وصلوا نخلة ، فمرت بهم عير لقريش تحمل زبيباً وأدما وتجارة من تجارة قريش وهى فى طريقها إلى مكة ، وكانت فى حراسة عمرو بن الحضرمى ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخيه نوفل ، والحكم بن كيسان ..

قال ابن إسحاق : « وتشاور عبد الله ومن معه فى شأنهم ، وذلك فى آخر يوم من رجب فقالوا : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخُلُن الحرم فَلَيَمْتَنِعُنَّ منكم به ، ولئن قتلتموهم لَتَقْتُلُنَّهم فى الشهر الحرام ، فترددوا وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم . فرمى واقدُ بنُ عبد الله التميمى عمرو ابن الحضرمى بسهم فقتله ، وأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم ابن كيسان ، وهرب نوفل بن عبد الله »(١) .

ثم عاد عبد الله بن جحش ومن معه بالعير وبالأسيرين حتى قدموا

---

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٠ .

المدينة دون أن يتمكن المشركون من اللحاق بهم ، وعندما التقى عبد الله ومن معه برسول الله – ﷺ – قال لهم : « ماأمرتكم بقتال فى الشهر الحرام » . فلما قال لهم ذلك سُقِط فى أيديهم وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا .

وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا الرجال ، فأنزل الله – تعالى – قوله :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَام قتَال فِيه قُلْ قِتَال فيه كَبِير وصدٌّ عَنْ سَبيل الله وَكُفْر به وَالْمسْجد الْحَرَام وَإِخْرَاجُ أَهْله مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ الله وَالفتْنَة أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْل وَلَا يزالُونَ يقَاتِلُونكم حتى يَردُّوكُم عن دينكم إِنِ اسْتَطَاعوا ومن يرْتَدد منكم عَنْ دِينهِ فَيمُتْ وَهُو كَافِرٌ فأولئكَ حَبِطَتْ أعمالُهم فى الدُّنيا والآخرةِ وأولئِكَ أصْحَابُ النار هم فيها خالِدُون ﴾ . (١)

قال الإمام ابن كثير معلقاً على الآية الكريمة : أى إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام ، فقد صدوكم عن سبيل الله ، مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ، والفتنة أكبر من القتل ، أى قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل ، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين (٢) .

وقال صاحب المواهب : «فلما نزلت هذه الآية فرج الله عن المسلمين وعن أهل السرية ما كانوا فيه ، ولكنهم ظنوا أنه إنما نفى عنهم الإثم فلا أجر لهم فطمعوا فيه فقالوا يارسول الله : أنطمع أن تكون لنا غزوة

---

(١) سورة البقرة ٢١٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٥٤ . طبعة الحلبى .

نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله تعالى :

﴿ إنَّ الذينَ آمنُوا والذينَ هاجَرُوا وجاهَدُوا فى سَبيلِ الله أولئكَ يَرْجُونَ رحمَةَ الله والله غفورٌ رحيم ﴾ . (١) فوضعهم الله – تعالى – من ذلك على أعظم الرجاء (٢) .

ثم بعثت قريش بعد ذلك إلى رسول الله – ﷺ – فى فداء الأسيرين اللذين أسرهما المسلمون ، وهما عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان فلم يقبل النبى ﷺ منهم ذلك بل قال : « لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا » يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان « فإنا نخشاكم عليهما ، تقتلوهما نقتل صاحبيكم » . وبعد أيام قدم سعد وعتبة فقبل النبى ﷺ فداء الحكم وعثمان مقابل أربعين أوقية لكل واحد منهما . وقد أسلم الحكم بعد ذلك ومات شهيداً يوم بئر معونة . أما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً .

وقد اختلف المؤرخون فى شأن تلك الغنيمة التى غنمها عبد الله بن جحش ومن معه فقال بعضهم : إن عبد الله بن جحش قد قسمها بين أصحابه وعزل خمسها باجتهاد منه لرسول الله ﷺ قبل أن يفرض الخمس فكان أول خمس خمس فى الإسلام . وقال آخرون : بل قدم عبد الله ومن معه بالغنيمة كلها إلى المدينة ، فأوقفها رسول الله ﷺ حتى رجع من بدر ، فقسمها مع غنائم بدر وأعطى كل قوم حقهم (٣) .

قال ابن هشام : فكانت غنيمة عبد الله بن جحش ومن معه أول غنيمة غنمها المسلمون ، وكان عمرو بن الحضرمى أول قتيل قتله

---

(١) البقرة ٢١٨ .

(٢) شرح المواهب للزرقانى ج ١ ص ٢٩٨ . طبعة المطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٥ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٤ طبعة دار التحرير سنة ١٩٦٨ .

المسلمون ، وكان عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان أول أسيرين أسرهما المسلمون [١] ا . هـ . ملخصا

هذا ، وقد رد عبدالله بن جحش على المشركين الذين اتهموا المسلمين بأنهم انتهكوا حرمة الشهر الحرام فقاتلوا فيه فقال :

تُعدون قتلًا فى الحرام عظيمةً   وأعظمُ منه لو يرى الرشدَ راشد
صدودكم عما يقول محمدٌ   وكفرٌ به والله راءٍ وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهلَه   لئلا يُرى لله فى البيت ساجد
فإنا ـــ وإن عَيَّرتُمونا بقتله ـــ   وأرجفَ بالإسلام باغ وحاسد
سقَينَا من ابن الحضرمى رماحَنا   بنخلةَ لما أوقد الحرب واقد
دمًا وابنُ عبد الله عثمانُ بيننا   ينازعُه غلٌّ من القيد عانِدُ

ولقد واصل عبد الله بن جحش بعد ذلك جهاده فى سبيل الله فشهد غزوة بدر وقاتل فيها قتال الأبطال ، ثم استشهد فى غزوة أحد بعد أن أبلى أحسن البلاء .

ويحدثنا التاريخ أنه – رضى الله عنه – قبل أن يخوض غمار معركة أحد ، انتحى بصديقه سعد بن أبى وقاص جانبا وقال له : هلم فلندع الله ، وليذكر كل واحد منا حاجته فى دعائه ، وليؤمن الآخر على دعاء أخيه .

ورفع سعد يديه إلى السماء فقال : « يارب ، إذا لقيت العدو غداً فلقنى رجلا شديداً بأسه ، شديداً حرده – أى غضبه – أقاتله فيك ويقاتلنى ، ثم ارزقنى عليه الظفر حتى أقتله وآخذ سلبه » .

وجاء دور عبد الله فى الدعاء فابتهل إلى الله وقال : « اللهم ارزقنى غداً رجلا شديداً بأسه ، شديداً حرده ، أقاتله فيك ويقاتلنى ، فيقتلنى : ثم يأخذنى فيجدع – أى يقطع – أنفى وأذنى ، فإذا لقيتك قلت لى :

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٣ : المكتبة التجارية .

ياعبد الله ، فيم جدع أنفك وأذناك ؟ فأقول : فيك يارب وفى رسولك ، فتقول لى : صدقت ياعبد الله » وقد تحققت دعوة عبد الله ، فقد سقط شهيداً فى أحد بعد أن جاهد فى سبيل الله حق الجهاد ، ومثل المشركون بجسده .

فقطعوا أنفه وأذنيه ، وفيه قال صديقه سعد : « كانت دعوة عبد الله خيراً من دعوتى ، لقد رأيته آخر النهار - من أحد - وإن أذنه وأنفه معلقان فى خيط » .

[ومن هنا أطلق عليه لقب « المجدع » أى : المقطع الأطراف]
ورجعت نفس عبد الله بن جحش إلى ربها راضية مرضية ، وكان عمره - رضى الله عنه - حين نال الشهادة فوق الأربعين بقليل .

٢ - سرية عمير لقتل عصماء :

وفى رمضان من السنة ذاتها قتل عمير بن عدى الخطمى عصماء بنت مروان اليهودية زوجة يزيد بن زيد الخطمى ، وكان عمير يدعى القارئ لأنه كان يؤم بنى خطمة فى الصلاة ، وسبب قتله لتلك المرأة أنها كانت تعيب الإسلام ، وتؤذى النبى - ﷺ - وتحرض عليه وتقول الشعر ، وعندما حدثت معركة بدر قالت شعراً تهجو به المسلمين ، فلما سمعها عمير نذر إذا رد الله تعالى رسوله ﷺ سالما من بدر فإنه سيستأذنه فى قتلها .

وبعد غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها وعودة النبى - ﷺ - إلى المدينة ، استل عمير سيفه وذهب إليها فى جوف الليل حتى دخل عليها بيتها ، وحولها نفر من ولدها نيام ، فجسها بيده - وكان ضرير البصر - ونحى الصبى القريب منها عنها مخافة أن يصيبه شىء ، ثم وضع سيفه على صدرها

حتى أنفذه من ظهرها ثم رجع فأتى المسجد فصلى الصبح مع النبى - ﷺ - بالمدينة .

فقال له رسول الله - ﷺ - : أقتلت ابنة مروان ؟ قال : نعم يارسول الله ، فهل علّى فى ذلك شىء ؟ فقال : ﷺ - « لاينتطح فيها عنزان » أى : لا يعارض فيها معارض ليأخذ بثأرها ، لأنها مهدورة الدم ، وكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من النبى - ﷺ .

ولقد تحقق ما أخبر به النبى - ﷺ - فقد ذكر ابن إسحاق وغيره « أن عميرا رجع إلى قومه بعد قتلها فوجد بنيها وهم خمسة رجال فى جماعة يدفنونها فقال لهم : أنا قتلتها فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون ، فوالله لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفى هذا حتى أموت أو أقتلكم .

وقد أثنى النبى - ﷺ - على عمير بعد قتله لتلك المرأة ، فأقبل على الناس وقال : « من أحب أن ينظر إلى رجل كان فى نصرة الله ورسوله فلينظر إلى عمير بن عدى » . فقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : « انظروا إلى هذا الأعمى الذى بات فى طاعة الله ورسوله ! ! فقال له النبى - ﷺ - : « مه ياعمر فإنه بصير » وسماه بالبصير لما رأى من كمال إيمانه وثبات جنانه .

٣ - سرية سالم لقتل أبى عفك :

وفى شهر شوال من السنة الثانية - أيضاً - قتل سالم بن عمير الأنصارى ، أبا عفك اليهودى ، وكان سبب قتله له أن أبا عفك هذا كان يحمل الناس على حرب رسول الله - ﷺ - وكان يهجو المسلمين بأشعاره .

فقال النبى - ﷺ - لأصحابه : « من لى بهذا الخبيث » ؟ فقال سالم بن عمير - وهو ممن شهد بدرا : « على نذر أن أقتل أبا عفك أو

أموت دونه » . ثم أخذ سالم يتحين الفرصة للقضاء عليه ، حتى كانت ليلة من ليالى الصيف الحارة ، وعلم سالم أن أباعفك ينام فى فناء داره ، فأسرع إليه واقتحم عليه داره ووضع السيف فى صدره حتى نفذ فى فراشه ، فصاح أبو عفك صيحة شديدة ، فأقبل عليه أهله ومن هم على شاكلته فى الكفر والنفاق ، فأدخلوه منزله ميتاً ، وعاد سالم إلى بيته بعد أن وفى بنذره ، فأهلك من حارب الله ورسوله .

هذا وفى هذه السنة الثانية قاد النبى – ﷺ – أصحابه فى الغزوات الآتية :

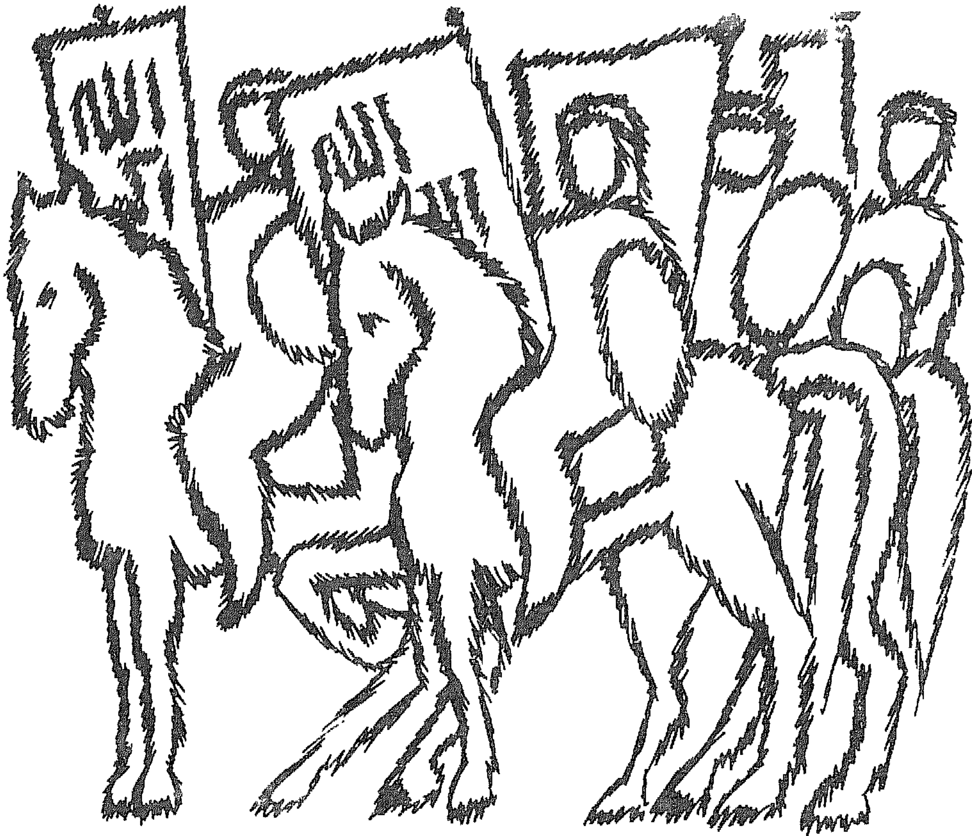
١ – غزوة ودان [١] ، وكانت فى الثانى عشر من شهر صفر .
٢ – وغزوة البواط [٢] وكانت فى شهر ربيع الأول .
٣ – وغزوة العُشَيرة وكانت فى جمادى الأولى .
٤ – وغزوة بدر الأولى وكانت بعد غزوة العشيرة بحوالى عشرة أيام .
٥ – وغزوة بدر الكبرى وكانت فى السابع عشر من رمضان .
٦ – وغزوة بنى قينقاع وكانت فى منتصف شهر شوال .
٧ – وغزوة السويق وكانت فى أوائل شهر ذى الحجة .



(١) ودان : اسم قرية بين مكة والمدينة بينها وبين الأبواء ستة أميال .
(٢) البواط : اسم جبل من جبال جهينة بقرب ينبع على أربعة برد من المدينة .

سرايا

السنة الثالثة





١ ـ سرية قتل كعب بن الأشرف :

ثم أقبلت السنة الثالثة ، وفيها تم القضاء على كعب بن الأشرف ، لأنه كان من الذين أعلنوا بغضهم وعداوتهم للنبى - ﷺ - منذ وصوله إلى المدينة مهاجرا .

يدل على ذلك ما جاء فى شرح المواهب : « من أن ابن الأشرف كان طويلا جسيما ذا بطن وهامة ، شاعراً مجيداً ، ساد يهود الحجاز بكثرة ماله ، فكان يعطى أحبار يهود ويصلهم ، فلما قدم النبى - ﷺ - المدينة ، جاءه أحبار اليهود من بنى قينقاع وبنى قريظة لأخذ صلته على عادتهم فقال لهم : ماعندكم من أمر هذا الرجل ؟ قالوا : هو الذى كنا ننتظر ، ما أنكرنا من نعوته شيئا ، فقال لهم : قد حرمتم كثيراً من الخير ، ارجعوا إلى أهليكم فإن الحقوق فى مالى كثيرة ، فرجعوا عنه خائبين ، ثم رجعوا إليه فقالوا له : إنا تعجلنا فيما أخبرناك به أولا ، ولما استوثقنا علمنا أننا أخطأنا وليس هو النبى المنتظر ، فرضى عنهم ووصلهم ، وجعل لكل من تابعهم من الأحبار شيئاً من ماله ... » (١) اهـ .

وعندما انتصر المسلمون فى بدر على قريش ، فزع يهود المدينة وكبتوا

---

(١) شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٨ للزرقانى .

لهذا النصر، فقد كانوا يأملون أن تدور الدائرة على المسلمين فى هذه المعركة ليتخلصوا منهم . فتعود إليهم زعامتهم الدينية ، ومكاسبهم التجارية والاقتصادية . وكان على رأس اليهود الذين أحزنهم هذا الانتصار وأذهلهم كعب بن الأشرف .

قال الشيخ الزرقانى – رحمه الله – : « كان كعب بن الأشرف قد عاهد النبى – ﷺ – قَبْلُ ألا يعين عليه أحداً ، فنقض العهد ، وسب النبى – ﷺ – وسب أصحابه . وكان من عداوته أنه لما قدم البشيران – زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة – بقتل من قُتِل من قريش ببدر ، وأسر من أسر منهم قال كعب : أحق هذا ؟ أترون أن محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان ، فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها ، فلما أيقن الخبر ورأى الأسرى مقرنين كبت وذل وخرج إلى قريش يبكى قتلاهم ، ويحرضهم على قتال النبى – ﷺ – ثم رجع المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم .. » (١) اهـ .

وقد نصح الناصحون كعب بن الأشراف ، أن يكف أذاه عن المسلمين ، ولكنه تمادى فى طغيانه وغدره ، وأبى أن ينزع عن كيده وفجوره ، فأهدر النبى – ﷺ – دمه .

وقد ساق الإمام البخارى قصة مقتل كعب بن الأشرف فقال : « حدثنا على بن المديني ، حدثنا سفيان بن عيينة ، قال عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله يقول ، قال رسول الله – ﷺ – من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله ؟ فقام محمد بن مسلمة ، فقال : يارسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال:نعم ، قال : فأذن لى أن أقول شيئاً ،

---

(١) شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٨ للزرقانى .

قال : قل . فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقة ، وإنه قد عنانا ، وإنى قد أتيتك أستسلفك ، قال : وأيضاً والله لتملنه ، قال : إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أى شيء يصير شأنه ، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين ، فقال كعب : نعم .. ارهنونى ، قالوا : أى شيء تريد ؟ قال : ارهنونى نساءكم ؟ قالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟ قال : فارهنونى أبناءكم ، قالوا : كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين ؟! هذا عار علينا ، ولكنا نرهنك اللأمة - أى السلاح - فواعده أن يأتيه فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعب من الرضاعة - فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة ؟ فقال:إنما هو محمد بن مسلمة وأخى أبو نائلة ، وقال غير عمرو : فقالت له أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم ، قال : إنما هو أخى محمد بن مسلمة ، ورضيعى أبو نائلة ، إن الكريم لو دعى إلى طعنة بليل لأجاب ، قال : ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين ، قيل لسفيان سماهم عمرو ؟ قال : الحارث بن أوس ، وعباد بن بشر ، قال عمرو : فقال محمد بن مسلمة : إذا ما جاء فإنى قائل - أى جاذب بشعره - فأشمه فإذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه ، فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفح منه ريح الطيب فقال : مارأيت كاليوم ريحاً أطيب .. وقال غير عمرو : قال عندى أعطر نساء العرب وأكمل العرب ، فقال ، أى محمد بن مسلمة : أتأذن لى أن أشم رأسك ؟ قال : نعم ، فشمه ثم أشم أصحابه . ثم قال : أتأذن لى ؟ قال : نعم . فلما استمكن منه قال : دونكم فاقتلوه ، فقتلوه ، ثم أتوا النبى - ﷺ - فأخبروه »[١] .

---

(١) عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعينى : (باب مقتل كعب بن الأشرف) ج ٧ ص ١٣١ طبعة منير الدمشقى . وأخرجه مسلم فى « كتاب الجهاد » باب مقتل كعب بن الأشرف ج ٣ ص ٢٤٥٢ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى .

وقد ساق ابن إسحاق وابن كثير قصة مقتل كعب بن الأشرف بصورة أوسع فقال ما ملخصه : « كان من حديث كعب بن الأشرف أنه لما أصيب أصحاب بدر وتيقن عدو الله بن الأشرف الخبر . خرج حتى قدم مكة ، فنزل على المطلب بن أبى وداعة السهمى ، وعنده عاتكة بنت أبى العاص ، فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرض على رسول الله – ﷺ – وينشد الأشعار ويبكى أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا فى بدر ، فقال قصيدة منها قوله :

طحنت رحا بدر لمهلك أهله ... ولمثل بدر تستهل وتدمع[1]

قتلت سراة الناس حول حياضهم ... لا تبعدوا إن الملوك تصرع[2]

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم ، فقال رسول الله – ﷺ – من لابن الأشرف ؟ فقال محمد بن مسلمة – أخو بنى عبد الأشهل – أنا لك به يارسول الله ، أنا أقتله ، قال فافعل إن قدرت على ذلك ، فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله – ﷺ – فدعاه ، فقال له : لم تركت الطعام والشراب . فقال يارسول الله ، قولا لا أدرى هل أفين لك به أم لا ؟ فقال : إنما عليك الجهد . فقال يارسول الله إنه لابد لنا من أن نقول : قال : قولوا مابدا لكم فأنتم فى حل من ذلك ، فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة ، وسلكان بن سلامة – وهو أبو نائلة – وكان أخاً لكعب من الرضاعة – وعباد بن بشر ، والحارث ابن أوس ، وأبو عبس بن جبر ، ثم قدّموا إلى عدو الله كعب قبل أن يأتوه

---

(١) رحا الحرب : مجتمع القتال . وتستهل : تسيل بالدمع . يقال : استهل المطر والدمع إذا سالا .

(٢) سراة الناس : خيارهم وأشرافهم .

(سلكان بن سلامة) ، فجاءه ، فتحدث معه ساعة ، وتناشدا شعرا ، ثم قال له أبو نائلة ويحك يابن الأشرف ! ! إنى جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عنى ، قال : افعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء .. عادتنا به العرب ورمتنا عن قوس واحدة .. فقال كعب بن الأشرف : أما والله لقد أخبرتك يابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول ، فقال له سلكان : إنى أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك .. فقال : أترهنونى أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا ، إن معى أصحابا لى على مثل رأيى قد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم ونرهنك من الحلقة - أى من السلاح - مافيه وفاء .. فقبل كعب وقال : إن فى الحلقة لوفاء ، فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا عند رسول الله - ﷺ -.

قال ابن إسحاق : فحدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال : مشى معهم رسول الله - ﷺ - إلى بقيع الفرقد ثم وجههم فقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ، ثم رجع - ﷺ - إلى بيته .

وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصن كعب فهتف به أبو نائلة فوثب فى ملحفة فأخذت امرأته بناحيتها وقالت : إنك امرؤ محارب وإن أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة ، فقال لها : لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب ، وبعد أن تماشى معهم وعاد لمثلها ، فلما استمكن منه قال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت سيوفهم فلم تغن شيئاً .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولا - أى سكينا - فى سيفى حين رأيت أسيافنا لا تغنى شيئاً فأخذته ، فوضعته فى ثنته - أى ما بين سرته وعانته - ثم تحاملت عليه فوقع عدو الله ، وصاح صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار .. ثم أخبرنا رسول الله - ﷺ - بقتله .

وأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله فليس بالمدينة يهودى إلا ويخاف على نفسه »[1] ملخصا .

هذه هى قصة مقتل كعب بن الأشرف كما وردت فى صحيح البخارى وفى كتب السيرة المعتمدة ، وقد زعم بعض المستشرقين ومن فى قلوبهم مرض أن مقتل كعب بن الأشرف كان غدراً وخيانة له ، ونحن ندفع هذه التهمة بما يأتى :

أولا : كعب بن الأشرف كان قد عاهد النبى - ﷺ - على ألا يعين عليه أحدا ، ولكنه نقض عهده ، فقد رحل إلى قريش بعد هزيمتهم فى بدر ورثى قتلاهم وحرضهم على قتال النبى - ﷺ - وفضل دين الجاهلية على دين الإسلام وجاهر بعداوته للمسلمين .

وقد جاءت أحاديث متعددة تفيد أن رسول الله - ﷺ - ما أذن فى قتل كعب بن الأشرف إلا بعد أن نقض العهد وأمعن فى إيذاء المسلمين ، ومن هذه الأحاديث ما رواه ابن أبى أويس عن إبراهيم بن جعفر بن محمد ابن مسلمة عن أبيه عن جابر بن عبدالله أن كعب بن الأشرف عاهد رسول الله - ﷺ - ألا يعين عليه ولا يقاتله ثم نقض عهده ولحق بمكة ، ثم قدم المدينة معلنا معاداة النبى - ﷺ - وكان أول غدره هجاءه للنبى - ﷺ - فندب رسول الله - ﷺ - إلى قتله[2] .

وقد جاء اليهود إلى رسول الله - ﷺ - بعد قتل كعب بن الأشرف فقالوا له يامحمد : قد طرق - أى قتل - صاحبنا الليلة وهو سيد من ساداتنا ، قتل غيلة بلا جرم ولا حدث علمناه ، فقال رسول الله - ﷺ - إنه لو قر كما قر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ، ولكنه آذانا ، وهجانا

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٦ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢١ .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٧١ لابن تيمية .

بالشعر ، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان للسيف [١] .

ثانياً : كعب بن الأشرف بإيذائه للنبى - ﷺ - وهجائه أصبح مهدر الدم ، ولا يعصم دمه بأمان ولا عهد .

وقد عقد الإمام ابن تيمية - رحمه الله - فصلا ضافياً لتحقيق هذه المسألة فقال ما ملخصه : .

« الحديث الثالث [٢] ، مااحتج به الشافعى على أن الذمى إذا سب الرسول - ﷺ - قتل وبرئت منه الذمة - وهو قصة كعب بن الأشرف اليهودى .

قال الخطابى : قال الشافعى : يقتل الذمى إذا سب النبى - ﷺ - وتبرأ منه الذمة،واحتج فى ذلك بخبر ابن الأشرف ، وقال الشافعى فى الأم : لم يكن بحضرة النبى - ﷺ - ولا قربه مشرك من أهل الكتاب إلا يهود المدينة وكانوا حلفاء الأنصار ، ولم تكن الأنصار أجمعت أول ما قدم رسول الله - ﷺ - إسلاما ، فوادعت يهودُ رسولَ الله - ﷺ - فلما كانت وقعة بدر أظهر بعض اليهود عداوة النبى - ﷺ - وحرضوا على قتاله ، فقتل رسول الله - ﷺ - من فعل ذلك منهم .

قال ابن تيمية : ومعلوم أنه إنما أراد بهذا الكلام كعب بن الأشرف ، وقصته مشهورة مستفيضة . ثم قال : والاستدلال لقتل كعب بن الأشرف لسبه الرسول - ﷺ - من وجهين .

الأول : أنه كان معاهداً مهادنا ، وهذا لا خلاف فيه بين أهل العلم بالمغازى والسير ، وهو عندهم من العلم الذى يستغنى فيه عن نقل الخاصة ،

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٧١ لابن تيمية .

(٢) ذكر ابن تيمية قبل ذلك حديثين استدل بهما على أن من سب الرسول - ﷺ - يقتل وهذا هو الحديث الثالث .

وكعب بن الأشرف بسببه الرسول - ﷺ - أصبح ناقضاً للعهد : والدليل على أنه أصبح ناقضًا للعهد بسببه النبى - ﷺ - ما جاء فى الحديث الشريف « من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله » ؟ ... لأن هذا القول يدل على أن أذى الله ورسوله علة لندب المسلمين إلى قتل من يفعل ذلك من المعاهدين .

الثانى : أن النفر الخمسة الذين قتلوه من المسلمين : محمد بن مسلمة ، وأبا نائلة ، وعباد بن بشر ، والحارث بن أوس . وأبا عبس بن جبر . قد أذن لهم النبى - ﷺ - أن يغتالوه ويخدعوه بكلام يظهرون به أنهم قد آمنوه ووافقوه ثم يقتلوه ... وهم عندما قتلوه إنما فعلوا ذلك من أجل هجائه للرسول - ﷺ - ومن حل قتله بهذا الوجه لم يعصم دمه بأمان ولا عهد . كما لو آمن المسلم من وجب قتله لأجل قطعه الطريق . أو آمن من وجب قتله لأجل الزنا ، أو لأجل ترك أركان الإسلام ونحو ذلك ، ولا يجوز له أن يعقد له عهد سواء كان عقد أمان أو عقد هدنة أو عقد ذمة لأن قتله حد من الحدود وليس قتله لمجرد كونه كافرًا حربيًا .

ثم قال ابن تيمية : وقد عرضت لبعض السفهاء شبهة فى قتل كعب ابن الأشرف بأن دم مثل هذا يعصم بذمة متقدمة أو بظاهر أمان .

فقد قال الواقدى : « حدثنى إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال : قال مروان بن الحكم وهو على المدينة وعنده ابن يامين النضرى كيف كان قتل كعب بن الأشرف ؟ فقال ابن يامين كان غدراً ، ومحمد بن مسلمة جالس شيخ كبير ، فقال : يامروان أيغدر رسول الله ﷺ عندك ؟ والله ما قتلناه إلا بأمره،والله لا يؤوينى وإياك سقف بيت إلا المسجد ، وأما أنت يابن يامين فلله على إن أفلت وقدرت عليك وفى يدى سيف إلا ضربتك به على رأسك ، فكان ابن يامين لا ينزل من بنى قريظة حتى يبعث له رسولا ينظر محمد بن مسلمة ، فإن كان فى بعض ضياعه نزل فقضى حاجته ثم

رجع ، وإلا لم ينزل ، فبينا محمد فى جنازة وابن يامين فى البقيع فرأى محمداً يغشى عليه جرائد يظنه لا يراه ، فعاجله ، فقام إليه الناس فقالوا : ياأبا عبد الرحمن ماتصنع ؟ نحن نكفيك ، فقام إليه فلم يزل يضربه بجريدة حتى كسر الجريد على وجهه ورأسه . ثم قال : والله لو قدرت على السيف لضربتك به » (١) .

ثالثاً : كعب بن الأشرف بتماديه فى طغيانه ، وإيذائه للمسلمين وتأليبه أعداءهم من قريش على حربهم بعد هزيمتهم فى بدر، صار عدوا للمسلمين ومهدداً لأمن المدينة وسلامتها ، فأصبح من حق المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم ، وأن يبتدروه بالهجوم والعقاب بعدما تفاقم شره ونقض عهده وأعرض عن النصيحة ، ولو أن المسلمين تركوه يسرح ويمرح ويتطاول ويفسد فى الأرض . لتعرضت هيبتهم للضياع ودينهم للاستهزاء والسخرية ، ودولتهم للاضطراب وإثارة الفتنة ، ولطمع فيهم من لا يرقب فى مؤمن إلًا ولا ذمة .

وهذه الأسباب نرى أن كعب بن الأشرف هو الذى جنى على نفسه بإيذائه للنبى – ﷺ – والمسلمين ، وأنه لو قر كما قر غيره ممن هو على مثل رأيه لما أصابه شر ، ونرى قتله كان عقاباً عادلا بعد أن نقض عهده وأعرض عن النصيحة ، وجاهر بعداوته للمسلمين وسب النبى ﷺ .

وكان مقتل كعب بن الأشرف فى رمضان من السنة الثالثة بعد الهجرة ، وقيل كان فى شهر ربيع الأول من نفس السنة .

هذا ، وقد أهدر النبى ﷺ بعد غزوة بدر دم كل من كان على شاكلة كعب بن الأشرف فى عدائه للمسلمين ، ومن الذين أهدرت دماؤهم « أبو عفك اليهودى » ؛ لأنه كان يرسل الأشعار فى هجاء النبى –

---

(١) « من كتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول) – ﷺ – ص ٩٠ للإمام ابن تيمية .

ﷺ - والمسلمين ، ولأنه كان يحرض الناس على حرب الإسلام وأتباعه ، وقد تولى قتله « سالم بن عمير العمرى » فى شهر شوال على رأس عشرين شهراً من هجرة النبى - ﷺ - إلى المدينة .

ووثب كذلك محيصة بن مسعود على تاجر يهودى يقال له ابن سنينة ، كان يؤذى المسلمين فقتله ، فقال حويصة بن مسعود - وكان لم يسلم بعد - لأخيه محيصة - وكان قد أسلم - أى عدو الله أقتلته ؟ أما والله لرب شحم فى بطنك من ماله ؟ فقال محيصة والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك ! ! فقال حويصة : آلله لو أمرك محمد - ﷺ - بقتلى لقتلتنى ؟ قال نعم ، قال حويصة : والله إن دينا بلغ هذا لعجب ، ثم أسلم (١) .

وهكذا تعقب المسلمون بالقتل والإرهاب بعد معركة بدر ، كل غادر بعهده ، مجاهر بحرب الله ورسوله ، مؤيد لقريش ودينها ، مظهر للعطف والأسف على ماأصابها ، وذلك ليتفرغوا للقاء أعدائهم وليطهروا المدينة من (الطابور الخامس) الذى يعرف مواطن الضعف والقوة فيهم ، فيبلغها إلى أعدائهم ، لأنهم لو لم يفعلوا ذلك لاستطاع هؤلاء المرجفون فى المدينة والمؤذون للمسلمين إثارة الاضطراب والقلاقل فى حالتى السلم والحرب ، ولكن بالقضاء عليهم عادت للمسلمين هيبتهم وطمأنينتهم وأصبحوا هم أصحاب الكلمة العليا فى مدينتهم .

٢ - « سرية زيد إلى القَرْدَة » (٢) .

ترامت الأخبار إلى النبى - ﷺ - بأن قريشاً قد أرسلت تجارة

---

(١) (السيرة النبوية) ج ٣ ص ١٦ لابن كثير طبعة الحلبى ، تحقيق مصطفى عبدالواحد .

(٢) القردة : بالقاف المفتوحة وسكون الراء ، اسم موضع من أرض نجد بين الربذة والغمرة ناحية ذات عرق . وقيل اسم ماء من مياه نجد .

إلى الشام عن طريق العراق ، بعد أن أغلق المسلمون فى وجوهم طريق المدينة ، وبعد أن تم للمسلمين النصر عليهم فى غزوة بدر .

وقد انتدب المشركون لحماية تلك التجارة الواسعة جمعاً من زعماء مكة . منهم : أبو سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وحويطب بن عبد العزى وغيرهم . وكان معهم مال كثير وأوان من الفضة .

وكان أبو سفيان ومن معه قد استأجروا « فرات بن حيان العجلى » لكى يرشدهم إلى طريق يأمنون فيه جانب المسلمين ، فسار بهم « فرات » على ذات عرق من ناحية العراق . وعندما تيقن النبى - ﷺ - من صدق هذه الأخبار ، استقر رأيه على أن يرسل سرية من أصحابه لمراقبة تجارة قريش واغتنامها .

وقد اختار - ﷺ - لهذه المهمة مائة من أصحابه بقيادة زيد بن حارثة ، وقد قامت هذه السرية بوظيفتها خير قيام ، فقد التقت بتجارة قريش هذه بالقردة من ناحية نجد ، فمزقت شمل رجالها ، وأجبرتهم على الفرار ، ثم عادت بالتجارة إلى المدينة ، فخمسها النبى - ﷺ - فبلغ الخمس فيها عشرين ألف درهم ، وقسم ما بقى على أهل السرية .

وأسر المسلمون (فرات بن حيان) الذى كان يدل المشركين على الطريق ، فلما وقف بين يدى النبى - ﷺ - قال له : « إن تسلم تترك » فأسلم فتركه النبى ﷺ .

وقد هجا حسان بن ثابت قريشاً لسلوكها ذلك الطريق فقال [1].

دعوا فلجات الشام قد حال دونَها جلادٌ كأفواه المخاض الأوارك[2]

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٣٠ .

(٢) الفلجات : الأنهار الصغار . والجلاد : المجالدة فى الحرب . والمخاض : الإبل الحوامل . والأوارك : التى ترعى الأراك وهو الشجر الذى يكون منه أعواد السواك .

بأيدى رجالٍ هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقًّا وأيدى الملائكِ

إذا سلكت للغَوْرِ من بطنِ عالج فقولا لها : ليس الطريق هنالكِ[1]

وفى هذه السنة حدثت الغزوات الآتية :

١ – غزوة غطفان وكانت فى شهر ربيع الأول .

٢ – غزوة بحران وكانت فى شهر جمادى الأولى .

٣ – غزوة أحد وكانت فى شهر شوال .

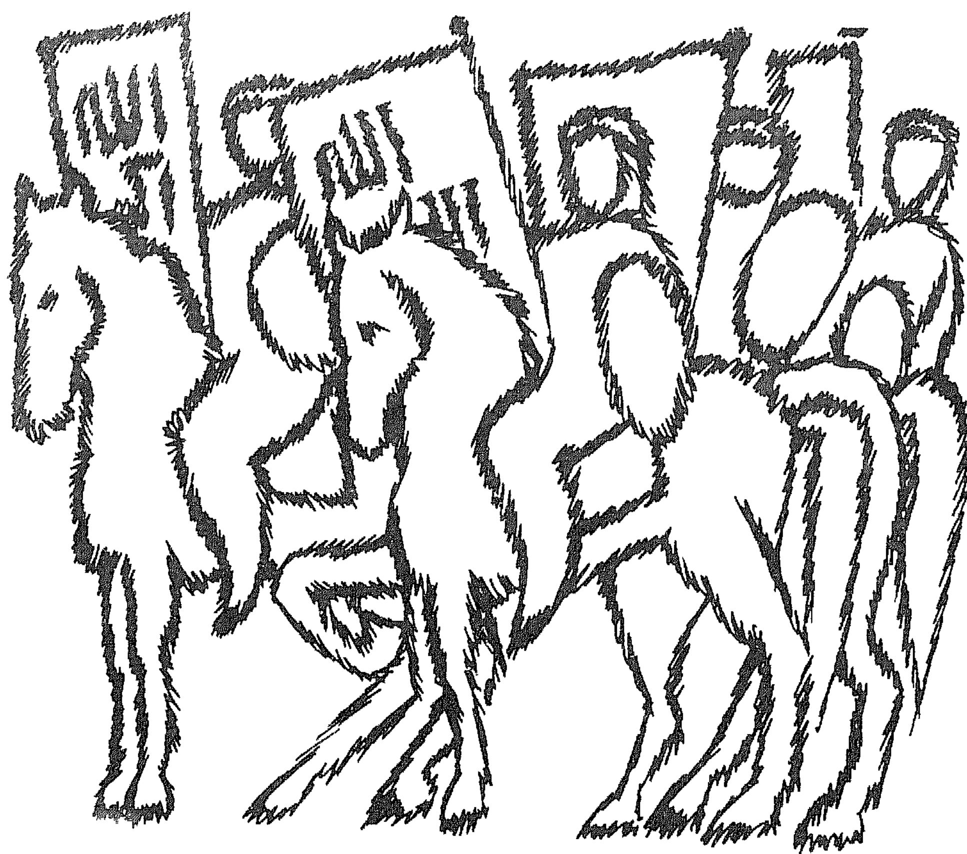
٤ – غزوة حمراء[2] الأسد وكانت فى أعقاب غزوة أحد .



(١) الغور : المنخفض من الأرض . وبطن عالج : اسم موضع كثير الرمال .

(٢) حمراء الأسد : اسم موضع على بعد ثلاثة أميال من المدينة بطريق مكة .

سرايا
السَّنة الرابعة





١ - سرية أبى سلمة إلى بنى أسد :

فى مطلع السنة [١] الرابعة من الهجرة جاء رجل من بنى أسد فأخبر النبى - ﷺ - أن طليحة وسلمة ابنى خويلد الأسدى ، يحرضان قومهما ومن شايعهما على حرب المسلمين .

فدعا النبى - ﷺ - أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومى فعقد له لواء وجعله أميراً على مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار منهم : أبو عبيدة وسعد بن أبى وقاص وأسيد بن حضير وأبو نائلة وغيرهم ثم قال له : « اخرج فى هذه السرية فقد استعملتك عليها ، وسر حتى تأتى أرض بنى أسد فأغر عليهم قبل أن تتلاقى عليك جموعهم » وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً .

فلبى أبو سلمة الأمر وسار إليهم مسرعاً ، واستعمل فى سيره إليهم الطرق غير المألوفة حتى يفاجئهم فى عقر دارهم دون أن يعلموا به . فلما انتهى إلى أرضهم قسم سريته ثلاثة أقسام ثم شن الغارة على بنى أسد فمزق شملهم ، وأجبرهم على التفرق فى الجبال تاركين إبلهم وغنمهم ، فأخذ ذلك

---

(١) نور اليقين ص ١٤٥ لفضيلة المرحوم الشيخ محمد الخضرى .

كله أبو سلمة ومن معه بدون قتال يذكر ، وأسر منهم ثلاثة مماليك ، ثم قفل راجعاً إلى المدينة – ومعه تلك الغنائم – بعد عشرة أيام من خروجه منها .

وكان أبو سلمة – رضى الله عنه – قد أصيب قبل ذلك بجرح فى عضده خلال اشتراكه فى غزوة أُحد ومكث شهراً يتداوى منه فلما تماثل للشفاء بعثه النبى – ﷺ – أميراً على تلك السرية فلما عاد منها انتكس جرحه فمات بعدها بأيام قليلة .

ولقد تأثر النبى – ﷺ – لموت أبى سلمة تأثراً شديداً ، فقد كان – رضى الله عنه – من السابقين إلى الإسلام وكان من الذين هاجروا الهجرتين ، الهجرة إلى الحبشة ، ثم الهجرة إلى المدينة ، وكان فوق ذلك تربطه بالنبى – ﷺ – أمور مشتركة منها : أن كلا منهما من قريش ، وأنهما قريبان ؛ فأبو سلمة أمه « برة بنت عبد المطلب » عمة النبى – ﷺ – وأنهما قد رضعا معاً من ثدى واحد ، فقد أرضعتهما « ثويبة » مولاة أبى لهب .

وكانت السيدة أم سلمة زوجة الشهيد أبى سلمة ، قد شاركته سراء الحياة وضراءها بوفاء نادر وإيمان عميق وأنجبت منه عدداً من الأولاد ، فلما فرق بينهما الموت بكته بكاء مراً فكانت تقول : غريب مات فى أرض غربة ، والله لأبكينه بكاء يتحدث الناس عنه ... » .

ورأى النبى – ﷺ – بما جبل عليه من مكارم الأخلاق أن يصون هذا البيت الكريم وأن يلقى عليه ألوانا من الرعاية والتكريم فتزوج بالسيدة أم سلمة وضم أولادها إلى بيته وفاء لحق أبيهم الشهيد أبى سلمة – رضى الله عنه وأرضاه .

٢ ـ سرية عبد الله إلى سفيان :

كانت هذه السرية فى الخامس (١) من المحرم من السنة الرابعة ، وسببها أن النبى - ﷺ - بلغه أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى يقيم بعُرَنة (٢) وأنه يجمع الجموع لحرب المسلمين .

فاستدعى النبى - ﷺ - عبد الله بن أنيس الجهنى فقال له : « إنه قد بلغني أن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع لى الناس ليغزونى وهو بنخلة أو بعرنة فأته فاقتله » .

قال عبد الله : « فقلت يارسول الله انعته لى حتى أعرفه ، فقال رسول الله - ﷺ - : « إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، آية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة » (٣) أى : خفته وهبته . قال عبد الله : وكنت لا أهاب الرجال فقلت يارسول الله مافرقت من شىء قط . فقال : آية ما بينك وبينه ذلك . قال : فخرجت متوشحا سيفى واستأذنت رسول الله - ﷺ - أن أقول فأذن لى ، ثم قال لى : « انتسب إلى خزاعة » .

قال عبد الله : فخرجت أعتزى إلى خزاعة حتى إذا كنت ببطن عرنة لقيته يمشى ووراءه الأحابيش ، وهو فى ظُعُن (٤) له يرتاد لهن منزلا ، فعرفته بنعت رسول الله - ﷺ - له وشعرت بالخوف منه فقلت صدق رسول الله .

---

(١) من كتاب « نور اليقين » ص ١٤٦ لفضيلة المرحوم الشيخ محمد الخضرى

(٢) عرنة : اسم موضع قريب من عرفات .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٤ صفحة ٢٦٣ .

(٤) الظعن جمع ظعينة وهى المرأة فى الهودج ، وقد يقال للمرأة ظعينة وإن لم تكن فى الهودج كما هنا .

قال عبد الله : « وكان وقت العصر قد دخل حين رأيته فخشيت أن تكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة فصليت وأنا أمشي نحوه أومئ إيماء برأسي ، فلما انتهيت إليه قال : ممن الرجل ؟ فقلت : رجل من خزاعه سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك . قال : أجل إني لأجمع له .

قال عبد الله : فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثي وأنشدته وقلت : عجباً لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث ، فارق الآباء وسفه أحلامهم ! !

قال : إنه لم يلق أحدا يشبهني ، وهو يتوكأ على عصا يهد الأرض حتى انتهى إلى خبائه ، وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه وهم يطيفون به . فقال : « هلم ياأخا خزاعة » فدنوت منه : فقال : اجلس .

قال عبد الله : فجلست معه حتى إذا هدأ الناس وناموا اغترته فقتلته وأخذت رأسه ، ثم خرجت ظعائنه منكبات عليه فصعدت جبلا ثم دخلت غاراً فيه وأقبل الطلب وأنا مكتمن في الغار ، وضربت العنكبوت عليَّ ، وأقبل رجل معه إداوة ضخمة ومخلاة في يده وكنت حافياً ، فوضع إداوته ونعله وجلس يبول قريباً من فم الغار ، ثم قال لأصحابه ، ليس في الغار أحد فانصرفوا راجعين (١) .

قال عبد الله : « ثم خرجت فكنت أسير الليل وأتوارى النهار خوفاً من الطلب حتى قدمت المدينة ، فوجدت رسول الله – ﷺ – في المسجد فلما رآني قال : أفلح الوجه – قلت : أفلح وجهك يارسول الله ، ثم وضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبري .

---

(١) شرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٦٤ .

ثم قام بى رسول الله - ﷺ - فأدخلنى بيته فأعطانى عصا فقال : أمسك هذه عندك ياعبد الله بن أنيس .

قال عبد الله : فخرجت بها على الناس فقالوا : ماهذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله - ﷺ - وأمرنى أن أمسكها ، قالوا : أولا ترجع إلى رسول الله فتسأله عن ذلك ؟ فرجعت إليه فقلت : يارسول الله ، لم أعطيتنى هذه العصا ؟ فقال - ﷺ - هى آية - أى علامة - بينى وبينك يوم القيامة إن أقل الناس المتخصرون يومئذ ، قال ابن إسحاق : « فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل حتى معه إذا حضرته الوفاة ، أوصى أهله أن يدرجوها فى كفنه ، فضمت فى كفنه ثم دفنا جميعا »[١] .

هذا وقد أورد ابن هشام شعراً لعبد الله بن أنيس يتمدح به لقتله سفيان الهذلى ومنه قوله :

تركت ابن ثور كالحوار وحوله   نوائح تقرى كلَّ جَيْبٍ معدد[٢]

تناولته والظعن خلفى وخلفه   بأبيض من ماء الحديد مهند[٣]

أقول له والسيف يعجم رأسه   أنا ابن أنيس فارسا غيرَ قُعدد[٤]

وقلت له خذها بضربة ماجد   حنيف على دين النبى محمد[٥]

---

(١) الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام ج ٧ ص ٤٨١ .
(٢) الحوار - بزنة غراب - : ولد الناقة إذا كان صغيرا . وتفرى : تقطع
(٣) بأبيض يريد سيفا والمهند المنسوب إلى الهند .
(٤) يعجم رأسه : يقطعها والقعدد : اللئيم الجبان .
(٥) الماجد : الشريف . والحنيف هنا الذى دخل فى الإسلام وترك الشرك .

وكنت إذا هم النبى بكافر   سبقت إليه باللسان وباليد

وكانت غيبته عن المدينة ثمانى عشرة ليلة ، ثم قدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم .

ثم اشترك عبد الله بعد ذلك فى كثير من الغزوات والسرايا . وكان بجانب ذلك من فقهاء الصحابة الذين رووا الكثير من الأحاديث النبوية ، وكان من الذين يستسهلون الصعاب فى سبيل طلب العلم ، فلقد حكى لنا التاريخ أنه رحل مسيرة شهر لكى يلقى جابر بن عبد الله الأنصارى فيسأله عن بعض الأحاديث التى سمعها من رسول الله – ﷺ – حول المظالم والقصاص بين أهل الجنة وأهل النار .

وهكذا كان عبد الله بن أنيس من أشجع الناس فى محاربة أعداء الإسلام ، ومن أحرصهم على أداء تكاليف الإيمان ، فرضى الله عنه وأرضاه .

٣ – سرية الرجيع :

كانت هذه السرية فى شهر صفر [١] من السنة الرابعة ، ومن حديثها أن رهطا من عضل والقارة [٢] قدموا على رسول الله – ﷺ – فقالوا له يارسول الله : « إن فينا إسلاما فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام » . فبعث رسول الله – ﷺ – معهم ستة [٣] من أصحابه ليقوموا بمهمة تفقيههم

---

(١) نور اليقين ص ١٤٦ لفضيلة المرحوم الشيخ محمد الخضرى .

(٢) بطن من قبيلة بنى الهون بن خزيمة

(٣) هذا ماذكره ابن هشام وغيره وروى ابن سعد أن النبى – ﷺ – أرسل معهم عشرة رجال إلا أنه ذكر أسماء ستة منهم فقط .

فى دينهم وتعليمهم شرائع الإسلام وليكونوا فى الوقت نفسه عيوناً على قريش يرصدون تحركاتها المريبة ضد المسلمين وليبلغوها إلى النبى - ﷺ - حتى يأخذ حذره .

وهؤلاء الستة هم : مَرْثَد بن أبى مرثد الغنوى وخالد بن البكير الليثى وعاصم بن ثابت بن أبى الأفلح وخَبيب بن عدى وزيد بن الدثِنة وعبد الله ابن طارق وأمر عليهم عاصم بن ثابت ، وقيل كان أميرهم مرثد بن أبى مرثد .

وخرج عاصم وأصحابه مع القوم فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار ، حتى إذا كانوا على الرجيع (١) غدروا بهم ، ودلوا عليهم هذيلا قوم سفيان بن خالد الهذلى الذى لقى حتفه على يد عبد الله بن أنيس ، فهرع إليهم ما يقرب من مائتى رام من قبيلة هذيل ، وفوجىء عاصم ورفاقه وهم فى رحالهم بالغادرين يغشونهم وبأيديهم السيوف ، فما كان منهم إلا أن شهروا سيوفهم ولجئوا إلى جبل هناك ليحتموا به .

وهنا قال لهم الغادرون : انزلوا إلينا ولكم العهد ألا نقتلكم ، فإنا والله مانريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة .

فأما عاصم بن ثابت ، ومرثد بن أبى مرثد ، وخالد بن البكير فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقدا أبدا ، ثم أنشأ عاصم يقول :

ما علتى وأنا جَلد نابل والقوس فيها وتر عنابل(٢)
تزل عن صفحتها المقابل الموت حق والحياة باطل(٣)

(١) الرجيع : اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان بناحية الحجاز كانت المعركة بالقرب منه . وقيل : اسم موضع من بلاد هذيل .
(٢) النابل : صاحب النبل القوى الشديد . عنابل : غليظ شديد .
(٣) المقابل : النصل العريض الطويل .

وكل ما حتم الإله نازل   بالمرء والمرء إليه آيل[1]

إن لم أقاتلكم فأمى هابل[2]

ومازال الثلاثة يقاتلون حتى قتلوا .

قال ابن هشام : « فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت – حين أصاب ابنيها يوم أحد – لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فى قحفه الخمر ، فمنعته الدبر (٣) ، فلما حالت بينهم وبينه الدبر قالوا : دعوه حتى يمسى فيذهب عنه فنأخذه. فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما فذهب به . وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا تنجسا ، فكان عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يقول حين بلغه أن الدبر قد منعته : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبداً فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته » (٤) .

وأما زيد بن الدثنة ، وخبيب بن عدى ، وعبد الله بن طارق فأسرهم المشركون . ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، فلما وصلوا بهم إلى مر الظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القيد الذى كان مربوطاً به ، ثم أخذ سيفه وجعل يقاتل القوم ، فاستأخروا عنه ورموه بالحجار حتى قتلوه .

ثم قدم الغادرون إلى مكة بخبيب وزيد ، فأما زيد فاشتراه صفوان ابن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، ثم بعث صفوان بزيد إلى التنعيم ليقتله

---

(١) وكل ما حتم الإله : أى ما قدره الله – تعالى – مقادير . وآيل : اسم فاعل من آل الشيء يؤول بمعنى رجع .

(٢) هابل : فاقد وثاكل . تقول : هبلته أمه أى ثكلته وفقدته فهو يدعو على نفسه بالموت إن تراجع ولم يقاتلهم .

(٣) الدبر : بفتح الدال وسكون الباء – اسم لجماعة النحل .

(٤) سيرة ابن هشام – ج ٣ ص ١٦٣ .

خارج مكة ، واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب لكى يشهدوا مقتل زيد .

وعندما قدم زيد للقتل قال له أبو سفيان : أنشدك الله يازيد ، أتحب أن محمدا عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه وأنك فى أهلك ؟ فقال زيد : والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنى جالس فى أهلى .

فقال أبو سفيان : مارأيت من الناس أحداً يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا .

وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

أسرت قريش مسلما فى غزوة فمضى بلا وجل إلى السياف
سألوه هل يرضيك أنك سالم ولك النبى فدى من الإتلاف
فأجاب : كلا لا سلمت من الردى ويصاب أنف محمد برعاف

ثم قدم زيد للقتل ، فقتله نسطاس مولى صفوان بن أمية .

وأما خبيب بن عدى فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل ليقتلوه فى رجل منهم ، وحبسوه فى بيت امرأة تدعى ماوية ، فكانت تقول – بعد أن أسلمت – « كان خبيب عندى حبس فى بيتى ، فلقد اطلعت عليه يوماً وإن فى يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم فى أرض الله عنباً يؤكل » (١) .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٦٥ طبعة بيروت .

وكان خبيب قد قال لزوج تلك المرأة التى حبس فى بيتها : أطلب إليك ثلاثا : أن تسقينى العذب ، وأن تجنبنى ما ذبح على النصب ،وأن تخبرنى إذا أرادوا قتلى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبى نجيح أنها – أى ماوية – قالت : قال لى خبيب حين حضره القتل : ابعثى إلى بحديدة أتطهر بها للقتل ، قالت : فأعطيت غلاماً من الحى الموسى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل البيت ، قالت : فو الله ما هو إلا أن ولى الغلام بها إليه فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله الرجل ثأره ، يقتل هذا الغلام فيكون رجلا برجل . فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعمرك ما خافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة إلى ، ثم خلى سبيله (١) .

وعندما أراد المشركون قتل خبيب ، خرجوا به إلى التنعيم ليصلبوه ، فقال لهم : إن رأيتم أن تتركونى حتى أركع ركعتين فافعلوا . فقالوا له دونك فاركع،فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل عليهم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة .

فكان خبيب – رضى الله عنه – أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين . وعندما قيدوه ورفعوه على خشبة ليقتلوه تضرع إلى الله وقال : « اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا . ثم قتل – رضى الله عنه – .

ولقد كان لمقتل خبيب بهذه الصورة أثره الشديد فى نفوس الذين شهدوه ، فهذا سعيد بن عامر الجمحى كان والياً على بعض بلاد الشام

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٦٥ .

فى عهد عمر بن الخطاب ، فكانت تصيبه غشية وهو فى مجلسه مع القوم . فذكر ذلك لعمر ، فسأله عمر – رضى الله عنه – عن ذلك . فقال سعيد : ياأمير المؤمنين والله ما بى من بأس ، ولكنى كنت – قبل أن أسلم – فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل وسمعت دعوته ، فو الله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط إلا غشى على .

وقال الإمام ابن كثير : وقد روى البيهقى من طريق إبراهيم بن إسماعيل قال : حدثنى جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده عمرو ابن أمية أن رسول الله – ﷺ – كان قد بعثه عينا وحده ، قال : فجئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون فأطلقته فوقع على الأرض ، فانتبذت قليلا ثم التفت فلم أر شيئاً فكأنما بلعته الأرض ، فلم تذكر لخبيب رمة حتى الساعة »[1] .

وينسب إلى خبيب أنه عندما بلغه أن المشركين قد أجمعوا على صلبه أنشد شعراً منه قوله :

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا ... قبائلهم ، واستجمعوا كل مجمع[2]

وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقربت من جذع طويل ممتع

إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى ... وماأرصدالأحزاب لى عندمصرعى[3]

فذا العرش صبّرنى على ما يراد بى ... فقد بضعوا لحمى وقد ياس مطمعى[4]

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٦٧ .

(٢) ألبوا قبائلهم : جمعوها .

(٣) أرصد : أعد وهيأ . ومصرعى : المكان الذى أقتل فيه .

(٤) بضعوا لحمى . قطعوه . وياس مطمعى : لا مطمع لدى فى شىء من الحياة .

وقد خيرونى الكفر والموت دونه وقد هملت عيناى من غير مجزع[1]
وما بى حذار الموت إنى لميت ولكن حذارى جحم نار ملفع[2]
ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع[3]

وهكذا لقى هؤلاء الشهداء مصارعهم على أيدى الغادرين ، بعد أن بلغوا رسالات الله دون أن يخشوا أحدا سواه ، فرضى الله عنهم وأرضاهم .

٤ ـ سرية المنذر (بئر معونة) :

وبعد فترة وجيزة من خروج عاصم وأصحابه مع رهط عضل والقارة ، قدم على النبى – ﷺ – عامر بن مالك أبو براء الملقب بملاعب الأسنة ، فعرض عليه النبى – ﷺ – الإسلام فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام وقال : يامحمد ،لو بعثت معى نفرا من أصحابك إلى قومى أهل نجد لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك .

فقال له النبى – ﷺ – « إنى أخشى عليهم أهل نجد » .

فقال عامر : أنالهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

فبعث معه النبى – ﷺ – سبعين رجلا من خيار المسلمين ، كانوا

---

(١) المجزع : مصدر ميمى بمعنى الجزع .
(٢) الجحم : الملتهب . والملفع : المشتعل .
(٣) الأوصال : المفاصل . والشلو ـ بكسر الشين وسكون اللام – البقية من الشيء .

يسمون القراء لكثرة مايحفظون من القرآن – وجعل أميرهم المنذر بن عمرو الساعدى .

وكان من بينهم الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان ، وعروة بن أسماء ، ونافع بن بديل الخزاعى ، وعامر بن فهيرة . وغيرهم ...

وسار المنذر ورفاقه حتى نزلوا ببئر معونة (١) ، فعسكروا بها ، ثم بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله – ﷺ – إلى عامر بن الطفيل – زعيم بنى عامر – ، فلما قدم إليه حرام بن ملحان الكتاب لم ينظر فيه بل وثب عليه فقتله ، ثم أخذ يحرض قومه على قتال المنذر ورفاقه،ولكنهم أبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا له : لن ننقض عهد عامر بن مالك بعد أن عقد لهم عقدا وجوارا .

فترك عامر بن الطفيل قومه ولجأ إلى قبائل بنى سليم ورعل وذكوان وعصية فأخذ يحثهم على قتال المنذر ومن معه من المسلمين ، فأجابوه إلى طلبه ، وهبوا معه لقتالهم ، فلما وصلوا إليهم أحاطوا بهم فى رحالهم ، فما كان من المنذر ومن معه إلا أن استلوا سيوفهم وأخذوا يقاتلون تلك الجموع الغادرة وهم يقولون : اللهم إنا لا نجد من يبلغ رسولك منا السلام غيرك فأقرئه منا السلام . فأخبر جبريل النبى بذلك ، فقال – ﷺ – وعليهم السلام .

ومازال المنذر وأصحابه يقاتلون تلك القبائل الغادرة بشجاعة وصبر حتى استشهدوا فى سبيل دينهم وعقيدتهم .

وقد استطاع المنذر بن عمرو قائد المسلمين فى هذه السرية أن يقاتل الغادرين بجرأة وإقدام حتى سقط رفاقه جميعا من حوله ، فقال له بعض

---

(١) بئر معونة : اسم ماء من مياه بنى سليم – شرق المدينة – بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم .

المشركين : إن شئت آمناك فأبى منهم ذلك ، وأخذ يقاتلهم حتى قتل ، فلما بلغ النبى – ﷺ – خبره قال : « أَعْنَقَ [1] ليموت » أى : أسرع إلى الموت بقوة وإقدام وهو يوقن أنه ميت .

قال ابن إسحاق : وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الأنصار أحد بنى عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر فقالا : والله إن لهذه الطير لشأنا ، فأقبلا لينظرا فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم مازالت واقفة ، فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ماترى ؟ قال أرى أن نلحق برسول الله – ﷺ – فنخبره الخبر . فقال الأنصارى لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ، ثم قاتل القوم حتى قتل » [2] .

أما عمرو بن أمية فإنه أسره المشركون ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل ، وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

وعند عودة عمرو إلى المدينة التقى فى طريقه برجلين فسألهما ممن أنتما ؟ فقالا من بنى عامر ، فأمهلهما حتى إذا ناما قتلهما ليشفى بعض غله من بنى عامر الذين غدر زعيمهم بالمنذر وأصحابه .

ولكن الرسول – ﷺ – عندما علم منه ذلك بعد عودته إلى المدينة قال له « بئس ما صنعت لقد قتلت قتيلين لَأَدِيَنَّهُمَا فقد كان لهما منى أمان وجوار ، وبعث بديتهما إلى قومهما ثم قال : « هذا عمل أبو براء عامر

---

(١) أعنق : أى سار العنق ، والعنق – بفتح العين والنون – السير السريع .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٨٦ .

ابن مالك قد كنت لهذا كارها متخوفا » فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه ذلك ، وحزن لما أصاب المسلمين بسببه وفى جواره .

وكان من بين شهداء هذه المعركة عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق – رضى الله عنه – قتله رجل يدعى جبار بن سلمى ، فكان يقول – بعد أن أسلم – : إن مما دعانى إلى الإسلام أنى طعنت رجلا من المسلمين فى هذه المعركة بالرمح بين كتفيه ، ثم نظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعته يقول : فزت ورب الكعبة . فقلت فى نفسى : ما فاز ، ألست قد قتلت الرجل ؟ !

ثم نظرت إلى جسده فوجدته قد رفع إلى السماء . وكان هذا الرجل هو عامر بن فهيرة – رضى الله عنه – .

وعندما علم النبى – ﷺ – بذلك قال : « إن الملائكة وارت جثته وأنزل فى عليين » .

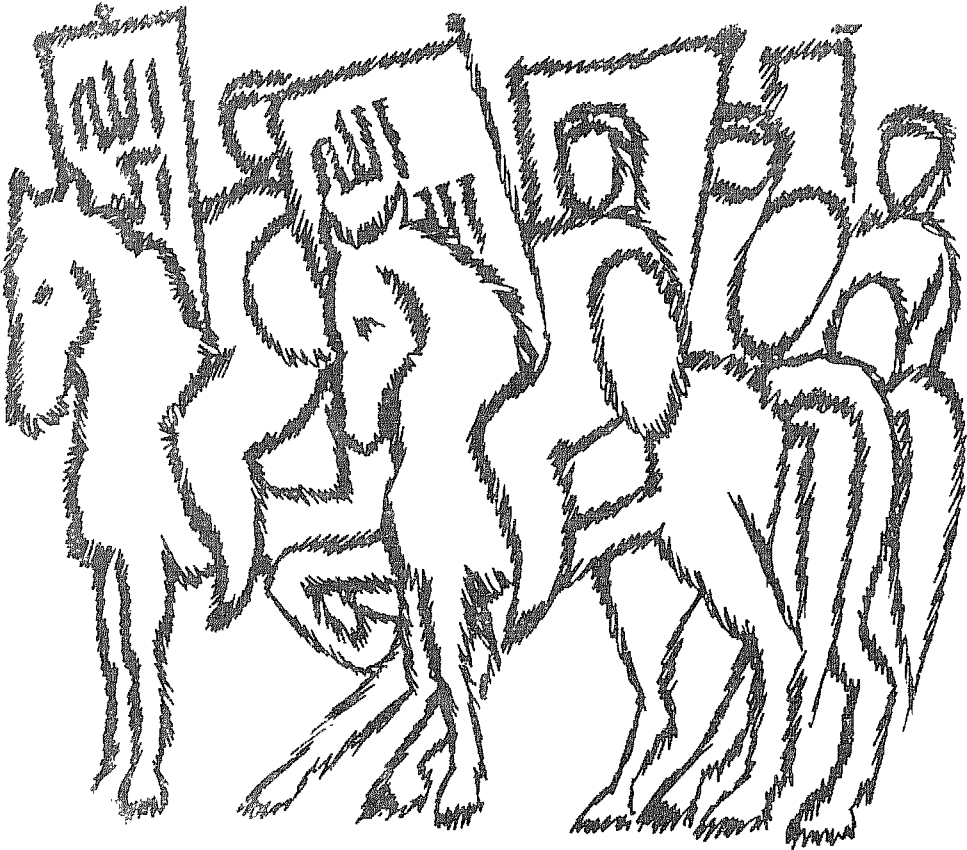
ولقد حزن النبى – ﷺ – حزنا شديدا على شهداء الرجيع وشهداء بئر معونة ، واستمر فترة طويلة يدعو على الذين قتلوهم فى صلاة الصبح . فيقول : « اللهم اشدد وطأتك على مضر . اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف . اللهم عليك ببنى لحيان وعضل ، والقارة ، ورعل ، وذكوان ، وعصية فإنهم عصوا الله ورسوله » .

وفى هذه السنة حدثت الغزوات الآتية :

١ – غزوة بنى النضير وكانت فى شهر ربيع الأول .
٢ – غزوة ذات الرقاع وكانت فى شهر ربيع الثانى .
٣ – وغزوة بدر الآخرة وكانت فى شعبان .



سرايا
السنة السادسة





١ - سرية محمد بن مسلمة إلى بنى بكر :

كانت السنة الخامسة من الهجرة خالية تقريباً من السرايا ، فلم يذكر لنا المحققون من المؤرخين شيئاً من ذلك ، وإنما الذى ذكروه لنا أن النبى - ﷺ - قد قاد أصحابه فى أربع غزوات وهى غزوة دومة الجندل (١) وكانت فى شهر ربيع الأول ، وغزوة بنى المصطلق وكانت فى شهر شعبان ، وغزوة الخندق وغزوة بنى قريظة ، وكانتا فى أواخر السنة الخامسة . ثم أقبلت بعد ذلك السنة السادسة التى تعتبر بحق أحفل سنة بالسرايا والبعوث الحربية .

ففى اليوم العاشر من المحرم أرسل النبى - ﷺ - محمد بن مسلمة فى ثلاثين راكباً من أصحابه لشن الغارة على بطن من بنى بكر بن كلاب الذين كانوا ينزلون البكرات بناحية ضَرِّيّة (٢) .

فمشى إليهم محمد بن مسلمة ومن معه ، وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار ، وعندما انتهوا إلى ديار بنى بكر أغاروا عليهم فقتلوا عشرة

---

(١) دومة الجندل : مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة .

(٢) ضرية : اسم موضع على بعد سبع ليالٍ من المدينة فى طريق البصرة .

منهم ، وولى الباقون الأدبار فاستاق المسلمون نعمهم وشاءهم و لم يتعرضوا لنسائهم ، ثم رجعوا إلى المدينة بعد تسع عشرة ليلة من خروجهم منها .

وقد بلغ ما غنمته هذه السرية من بنى بكر مائة وخمسين من الإبل ، وثلاثة آلاف رأس من الغنم ، فقسمها النبى - ﷺ - على مستحقيها .

وقد التقى محمد بن مسلمة ورفاقه عند عودتهم إلى المدينة برجل من زعماء بنى حنيفة وهو ثمامة بن أثال الحنفى فأسروه وهم لا يعرفونه فلما قدموا به على رسول الله - ﷺ - عرفه وعامله بما طبع عليه من مكارم الأخلاق ، فقد أطلق إساره بعد ثلاثة أيام عرض عليه فيها الإسلام .

ولما رأى ثمامة تلك المعاملة الكريمة من رسول الله - ﷺ - عاد إليه وأعلن إسلامه عن طواعية واختيار ، وخاطبه بقوله : « يارسول الله ، والله ما كان على وجه الأرض من وجه أبغض إلى من وجهك ، وقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى قلبى . وما كان على وجه الأرض من دين أبغض إلى من دينك ، وقد أصبح دينك أحب الأديان إلى ، وما كان من بلد أبغض إلى من بلدك ، وقد أصبح بلدك أحب البلاد إلى » .

أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة أن ثمامة الحنفى أسر وكان النبى - ﷺ - يغدو إليه فيقول له : « ما عندك ياثمامة ؟ فيقول : إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تمنن تمنن على شاكر ، وإن ترد المال نعطك منه ماشئت . وكان أصحاب النبى - ﷺ - يحبون الفداء ويقولون مانصنع بقتل هذا ؟ فمر عليه النبى - ﷺ - يوماً فأسلم فحله وبعث به إلى حائط أبى طلحة وأمره أن يغتسل فاغتسل وصلى ركعتين . فقال النبى - ﷺ - :« لقد حسن إسلام أخيكم » .

ولقد سر النبى - ﷺ - بإسلام هذا الرجل ؛ لأن إسلامه كان سببًا فى إسلام عدد كبير من قومه .

وعندما عزم على العودة إلى بلاده مر بمكة معتمراً مظهراً إسلامه ، فأراد مشركو مكة أن يؤذوه ولكنهم تركوه لاحتياجهم إلى حبوب اليمامة التى يعتبر ثمامة من أبرز زعمائها ، ومع ذلك فقد أقسم ثمامة ألا يرسل إليهم شيئاً من حبوب اليمامة حتى يسلموا وأرسل المشركون إلى رسول الله – ﷺ – يتوسلون إليه أن يأمر ثمامة ألا يقطع حبوب اليمامة عنهم فقد أجهدهم القحط ، فاستجاب – ﷺ – لرجائهم وأمر ثمامة أن يعيد عليهم ما كان يرسله إليهم من حبوب اليمامة ، ففعل .

ولقد كان لهذا الرجل الكريم المعدن أثر عظيم فى تثبيت قواعد الإسلام فى بلاده بعد وفاة الرسول – ﷺ – ومن مظاهر ذلك أنه نهى قومه عن اتباع مسيلمة الكذاب وجعل يقول لهم : إياكم والأمر المظلم الذى لا نور فيه ، إنه لشقاء كتبه الله على من اتبعه ، فأطاعه عدد كبير من قومه ، وثبتوا على الإسلام .

٢ – سرية الغمر :

ثم أرسل النبى – ﷺ – عكاشة بن محصن على رأس أربعين راكباً لكى يغيروا على بنى أسد ، لأنهم كانوا يؤذون المسلمين عند مرورهم بهم .

فأسرع عكاشة السير إليهم حتى وصل إلى ماء لهم يقال له الغمر (١) . وعندما أحسوا بقدوم عكاشة إلى منازلهم ولوا هاربين ، ودخل المسلمون ديارهم فوجدوا رجلا نائماً فأمنوه على حياته بشرط أن يدلهم على ماشية القوم ، فدلهم عليها فاستاقوها وكانت زهاء مائتى بعير ، ثم قدموا إلى المدينة دون أن يلقوا حربا من أعدائهم .

وكانت هذه السرية فى شهر ربيع الأول من السنة السادسة

---

(١) على بعد ليلتين من فيد . وهى قلعة بطريق مكة .

٣ - سرية محمد بن مسلمة إلى ذى القصة :

وفى شهر ربيع الأول - أيضا - من السنة نفسها ، بلغ النبى - ﷺ - أن أهل ذى القصة [١] ، يريدون الإغارة على ماشية المسلمين التى ترعى بالهيفاء قرب المدينة ، فأرسل إليهم محمد بن مسلمة فى عشرة من المسلمين فورد ديارهم ليلا ، فكمن لهم المشركون حينما أحسوا بقدومهم وانتظروا عليهم حتى ناموا ، ثم أحدقوا بهم وكان عددهم يقارب المائة . فلم يشعر المسلمون إلا والنبل قد غشيهم ، فتواثبوا إلى أسلحتهم وأخذوا يقاتلون أعداءهم قتالا عنيفا ،ولكن الأعداء تكاثروا عليهم وقتلوهم جميعا سوى محمد بن مسلمة الذى تركوه وبه رمق من حياة بعد أن ظنوه قد مات .

ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة .

وهنا أرسل النبى - ﷺ - أبا عبيدة عامر بن الجراح ومعه أربعون رجلا لكى يقتص من أهل ذى القصة ، فلما وصل أبو عبيدة وصحبه إلى ديار أعدائهم وجدوهم قد تشتتوا ، فاقتحموا منازلهم وغنموا ما فيها من حيوان ومتاع ثم رجعوا إلى المدينة ، فقسم النبى - ﷺ - تلك الغنائم على مستحقيها .

٤ - سرية زيد إلى بنى سليم :

وفى شهر ربيع الآخر أرسل النبى - ﷺ - زيد بن حارثة للإغارة على بنى سليم ، لأنهم كانوا قد انضموا إلى جيوش المشركين فى غزوة الأحزاب ، كما أنهم كانوا يؤذون المسلمين عند مرورهم بديارهم .

فسار إليهم زيد حتى بلغ الجموم [٢] ، فلما شارف ديارهم بمن

---

(١) ذى القصة : اسم موضع على بعد أربعة وعشرين ميلا من المدينة فى طريق الربذة .

(٢) الجموم : اسم موضع على يسار بطن نخل على أربعة أميال من المدينة .

معه وجدهم قد تفرقوا ، ولم يبق سوى عدد قليل منهم ، ووجدوا هناك امرأة من مزينة فدلتهم على محلة من محال بنى سليم ، فأصاب المسلمون من تلك المحلة نعما وشاء ، وأسروا من لقيهم من رجالها ومن بينهم زوج تلك المرأة .

فلما عاد زيد بالأسرى والغنائم إلى المدينة ، وهب النبى - ﷺ - للمرأة نفسها وزوجها ، وقسم الغنائم على مستحقيها .

٥ - سرية زيد إلى العيص :

وفى شهر جمادى الأولى من هذه السنة ترامت إلى مسامع النبى - ﷺ - الأخبار بأن عيرا لقريش قد أقبلت من الشام تريد مكة ، فبعث فى طلبها مائة وسبعين من فرسان المسلمين يقودهم زيد بن حارثة .

وأسرع زيد ومن معه لتلبية ما كلفهم به رسول الله - ﷺ - ، وساروا حتى وصلوا إلى العيص [١] ، وهناك التقوا بعير قريش فأخذوها بما فيها من فضة كثيرة كانت لصفوان بن أمية ، وأسروا ناساً ممن كانوا فى حراستها ، ثم قفلوا راجعين إلى المدينة ومعهم العير والأسرى .

وكان من بين الأسرى أبو العاصى بن الربيع زوج السيدة زينب بنت رسول الله - ﷺ - فاستجار أبو العاصى بزوجه زينب فأجارته ، ونادت فى الناس حين صلى بهم النبى - ﷺ - صلاة الفجر بقولها : أيها الناس إنى قد أجرت أبا العاصى .

وبعد أن انتهى النبى - ﷺ - من صلاته أقبل على الناس فقال : « أيها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . قال : والذى نفسى بيده

---

(١) العيص : موضع قرب البحر على أربع ليال من المدينة .

ماعلمت بشيء من هذا حتى سمعت ما سمعتم . المؤمنون يد واحدة يجير عليهم أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت » ثم قال : – ﷺ – لزينب : « أكرمى مثواه ولايخلص إليك فإنك لا تحلين له » وكان النبى – ﷺ – قد فرق بينها وبينه بسبب شركه .

وعاد أبو العاصى بعد ذلك إلى مكة فأدى إلى كل ذى حق حقه ثم قال : هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا . قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . والله مامنعنى من الإسلام عنده إلا خوفى من أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما ردها الله إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج فقدم المدينة فرد النبى – ﷺ – إليه زوجته زينب – رضى الله عنها .

٦ – سرية زيد إلى بنى ثعلبة :

ثم أرسل النبى – ﷺ – زيد بن حارثة على رأس خمسة عشر رجلا للإغارة على بنى ثعلبة الذين قتلوا أصحاب محمد بن مسلمة ، وكانوا يقيمون بالطرف (١) فتوجه زيد ورفاقه إلى رحالهم وعندما علم بنو ثعلبة بقدومهم فروا من وجوههم ، وتركوا ماشيتهم ومتاعهم فغنمها المسلمون إلى المدينة .

وكانت هذه السرية فى جمادى الآخرة من السنة السادسة .

قال صاحب المواهب : « وكان شعار المسلمين – فى هذه السرية – أمت أمت ، وهن أمر بالموت ، والمراد التفاؤل بالنصر بعد الأمر بالإماتة مع حصول الغرض من الشعار ، فإنهم جعلوا هذه الكلمة علامة بينهم يتعارفون بها لأجل ظلمة الليل » (٢) .

---

(١) الطرف : اسم ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة .
(٢) شرح المواهب للزرقانى ج ٢ ص ١٠٨ .

٧ – سرية زيد إلى جذام :

وكان السبب فيها أن دُحية الكلبى – رضى الله عنه – كان قادما من بلاد الروم ، ومعه تجارة له وهدايا أهداها إليه قيصر ملك الروم . فلقيه فى الطريق الهنيدى بن عارض وابنه فى ناس من جذام عند جسمى (١) ، فاستلبوا منه كل شيء كان معه ، فسمع بذلك نفر من بنى الضبيب وهم رهط رفاعة بن زيد الجذامى فأعادوا لدحية متاعه ممن انتهبه منه . وكان رفاعة قد أسلم وأخذ من النبى – ﷺ – كتابا دعا به قومه إلى الإسلام فأسلموا .

وبعد أن عاد دُحية إلى المدينة أخبر النبى – ﷺ – بما حدث له من الهنيدى وأشياعه ، فغضب – ﷺ – ، وبعث زيد بن حارثة فى خمسمائة رجل من بينهم دحية ، فكان زيد ومن معه يسيرون الليل ويكمنون النهار ، وكان معهم دليل من بنى عذرة لكى يرشدهم إلى أماكن القوم .

ووصل زيد ومن معه ديارهم مع الفجر فشنوا الغارة عليهم ، وقتلوا الهنيدى وابنه ، وأخذوا ماشيتهم فبلغت ألفا من الإبل وخمسة آلاف من الغنم وأسروا مائة من النساء والصبيان .

وعلم رفاعة بن زيد الجذامى بذلك فرحل فى نفر من قومه إلى النبى – ﷺ – فدفع إليه كتابه الذى كتبه له ولقومه عند إسلامه . فقال : – ﷺ – « كيف أصنع بالقتلى » ؟ فقال أبو يزيد بن عمر : أطلق لنا يارسول الله من كان حيا ، ومن قتل فهو تحت قدمى هاتين . فقال – ﷺ – « صدق أبو يزيد » .

---

(١) اسم موضع وراء وادى القرى .

ثم بعث معهم على بن أبى طالب إلى زيد بن حارثة وأمره أن يخلى بينهم وبين حرمهم وأموالهم . فتوجه على إلى زيد فبلغه أمر رسول الله ـ ﷺ ـ فصاح زيد فى الناس فاجتمعوا إليه فقال لهم : من كان معه شيء من سبى أو مال فليرده ، فهذا عليٌّ رسول رسولِ الله ـ ﷺ ـ قد أمرنى بذلك ، ثم رد إلى بنى جذام كل ماأخذ منهم . وكانت هذه السرية فى جمادى الآخرة من السنة السادسة (١) .

٨ ـ سرية زيد إلى بنى فزارة :

ثم بعث النبى ـ ﷺ ـ زيد بن حارثة على رأس عدد من أصحابه لتأديب بنى فزارة ، لأنهم تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة من الشام فسلبوا ما معه وكادوا يقتلونه . فلما وصل زيد المدينة أخبر النبى ـ ﷺ ـ بما كان منهم ، فأرسله إليهم ليقتص منهم ، وكانوا يقيمون فى وادى القرى (٢) .

وقد استطاع زيد وصحبه أن ينتصروا على أعدائهم ، وأن يقتلوا عددا كبيرا منهم وأن يأسروا بعض زعمائهم ، وكان من بين الأسرى امرأة ذات منزلة كبيرة فيهم ، وقد استوهبها النبى ـ ﷺ ـ ممن أسرها وافتدى بها أسيرا مسلما كان بمكة ، وكانت هذه السرية فى شهر رجب ، وقيل إنها كانت فى رمضان .

٩ ـ سرية دومة الجندل :

وفى شهر شعبان من هذه السنة استدعى النبى ـ ﷺ ـ عبد الرحمن بن عوف ، فأقعده بين يديه ، وعممه بيده ، وبعثه على رأس

---

(١) هذا ما سار عليه كثير من المؤرخين كابن سعد وابن إسحاق وغيرهما ويرى ابن القيم أنها كانت بالسنة السابعة .

(٢) موضع قريب من المدينة على طريق الحجاز من جهة الشام .

سبعمائة رجل إلى بنى كلب بدومة الجندل (١) .

وقد أوصاه النبى - ﷺ - قبل خروجه من المدينة بقوله . « اغز باسم الله وفى سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله ، لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليدا » ثم قال له : « إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم » .

فسار عبد الرحمن بجيشه حتى قدم دومة الجندل ، فمكث ثلاثة أيام يدعو أهلها إلى الإسلام ، فأسلم فى اليوم الثالث رئيسهم الأصبغ بن عمرو الكلبى - وكان نصرانيا - وأسلم معه عدد كبير من قومه ، ومن بقى منهم على دينهُ أخذت منه الجزية .

ثم تزوج عبد الرحمن بن عوف تماضر بنت الأصبغ تلبية لوصية رسول الله - ﷺ - وقدم بها المدينة ، وأنجب منها ولده أبا سلمة .

وأمثال هذه المصاهرات تعتبر من أعظم الأسباب لتوطيد الود والمحبة بين القبائل ، كما أنها عامل من عوامل انتشار الإسلام بين الناس .

١٠ - سرية على إلى فدك :

ثم بعث النبى - ﷺ - على بن أبى طالب أميراً على مائة من المسلمين لتأديب بنى سعد بن بكر بفدك (٢) ، وذلك لأنهم كانوا يجمعون الجيوش لمساعدة يهود خيبر على المسلمين .

وسار على ومن معه إليهم فكانوا يكمنون بالنهار ويمشون بالليل حتى انتهوا إلى الفجج (٣) ، فوجدوا به رجلا فقالوا له ماأنت ؟ فقال : أطلب شيئاً ضل منى . فسألوه هل لك علم بما وراءك من جمع بنى سعد ؟ قال :

(١) دومة الجندل : حصن وقرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة .

(٢) فدك : قرية بينها وبين المدينة ست ليال من جهة خيبر .

(٣) الفجج : اسم ماء بين خيبر وفدك .

لاعلم لى به . فلما شددوا عليه أقر أنه جاسوس لهم بعثوه إلى خيبر ليعرض على يهودها نصرهم ، مقابل أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم . فسألوه : فأين القوم ؟ قال : تركتهم قد تجمع منهم مائتا رجل . فقالوا له : فسر بنا حتى تدلنا عليهم . قال : على أن تؤمنونى ، فقالوا له : إن دللتنا عليهم أو على سرحهم أمناك وإلا فلا أمان لك . فخرج يسير بهم حتى ساء ظنهم به ثم أفضى إلى أرض مستوية فإذا نعم كثيرة وشاء ، فأغار المسلمون عليها وأخذوها فكانت خمسمائة بعير وألفى شاة .

أما بنو سعد فعندما علموا بمقدم المسلمين ولوا الأدبار منهزمين ليس معهم سوى نسائهم وأولادهم .

ثم عاد على وأصحابه إلى المدينة ، وقسم النبى - ﷺ - تلك الغنائم على مستحقيها ، وهكذا رد الله كيد المشركين فلم يتمكنوا من أن يمدوا يهود خيبر بشىء .

وكانت تلك السرية فى شعبان من السنة السادسة .

١١ - سرية قتل أبى رافع :

تعقب المسلمون بعد قضائهم على بنى قريظة بسبب غدرهم ، كل من عرف بعداوته للإسلام وكان على رأس اليهود الذين آذوا المسلمين « أبو رافع سلام بن أبى الحقيق » فقد أعان غطفان وغيرهم من مشركى العرب بالمال الكثير ليحاربوا النبى - ﷺ - وكان من زعماء اليهود البارزين الذين حزبوا الأحزاب للقضاء على الدعوة الإسلامية وأتباعها .

ولقد بلغت المنافسة فى الخير بين قبيلتى الأوس والخزرج ، أن إحداهما كانت إذا قامت بعمل يرضى الله ورسوله - ﷺ - سارعت الأخرى بفعل يشبهه .

قال ابن إسحاق : « حدثنى محمد بن شهاب الزهرى عن عبد الله ابن كعب بن مالك قال : وكان مما صنع الله به لرسوله - ﷺ - أن هذين الحيين من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله - ﷺ - تصاول الفحلين [1] لاتصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله - ﷺ - غناء - أى منفعة ورفع مكروه عنه - إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا عند رسول الله - ﷺ - فى الإسلام ، وقال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك ، فلما أصابت الأوس كعب بن الأشرف ، قالت الخزرج ، والله لاتذهبون بها فضلا علينا أبدا ، قال : فتذاكروا مَن رجل لرسول الله - ﷺ - فى العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبى الحقيق وهو بخيبر فاستأذنوا رسول الله - ﷺ - فى قتله فأذن لهم ، فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر هم : عبد الله بن عتيك - أميرهم - ومسعود ابن سنان ، وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث بن ربعى ، وخزاعى بن الأسود »[2] ا هـ .

وكان خروجهم لقتل أبى رافع فى رمضان من السنة السادسة ، وقيل فى ذى الحجة من السنة الخامسة .

وقد وردت قصة مقتله فى كتب السنة الصحيحة ، وفى كتب السيرة ، وهاك رواية الإمام البخارى فى هذا الشأن قال : عن البراء بن عازب - رضى الله عنه - قال :

« بعث رسول الله - ﷺ - إلى أبى رافع اليهودى رجالا من الأنصار فأمر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذى رسول الله -

---

(١) أراد أن كليهما كان يبذل قصارى جهده فى الدفاع عن الإسلام .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤٣ طبعة الحلبى .

ﷺ – ويعين عليه ، وكان فى حصن له بأرض الحجاز ، فانطلقوا حتى دنوا من حصنه وقد غربت الشمس ، وراح الناس بسرحهم – أى رجعوا بمواشيهم التى ترعى وتسرح – فقال عبد الله لأصحابه : اجلسوا مكانكم فإنى منطلق ومتلطف للبواب لعلى أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجة – حتى لا يعرف – وقد دخل الناس ، فهتف البواب:ياعبد الله (١) إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإنى أريد أن أغلق الباب ، فدخلت فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق البواب الباب ثم علق الأغاليق – أى المفاتيح – على وتد ، قال ابن عتيك : فقمت إليها فأخذتها ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يسمر عنده ليلا وكان فى علالى له – جمع عِلية أى غرفة – أى كان الناس يجتمعون عنده ليلاً للتحدث فى مختلف الشئون لأنه زعيم خيبر الأكبر ، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علىّ من داخل ، قلت : إنِ القوم أحسوا بى لم يخلصوا إلى حتى أقتله فانتهيت إليه فإذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لأدرى خصوص المكان الذى هو فيه – فقلت : ياأبا رافع – لأعرف موقفه – قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة بالسيف وأنا دهش – أى حيران – فما أغنت شيئا ، وصاح – أبو رافع – فخرجت من البيت فمكثت غير بعيد ثم دخلت عليه – كأنى أغيثه وغيرت صوتى – فقلت : ما هذا ياأبا رافع ؟ قال لأمك الويل ، إن رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف ، قال عبد الله فضربته ضربة أثخنته – أى جرحته جرحاً بليغاً – ولم أقتله ، قال : ثم وضعت ضبيب السيف – أى حده – فى بطنه حتى دخل فى ظهره فعرفت أنى قد قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى أنى قد انتهيت إلى الأرض – لأنه كان (رضى الله عنه) ضعيف البصر كما جاء فى بعض

---

(١) أراد يامن أنت عبدالله ، ولم يرد اسمه الحقيقى .

الروايات – فوقعت فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة ، ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته أو لا ، فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال : أنعى أبا رافع ، تاجر أهل الحجاز ، قال : فانطلقت إلى أصحابى فقلت : النجاة – أى أسرعوا – فقد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى النبى – ﷺ – فحدثته بما وقع فقال ابسط رجلك فبسطتها ، فكأنما لم اشتكها قط ، وفى رواية عن ابن عتيك قال : قدمنا على رسول الله – ﷺ – وهو على المنبر فقال : أفلحت الوجوه [١] .

هذا ، وهناك روايات أخرى فى مقتل (أبى رافع) يؤخذ منها أن قاتله هو عبد الله بن أنيس ، أو أن الخمسة قد اشتركوا فى قتله ، إلا أننا آثرنا رواية البخارى التى تصرح بأن قاتله هو (عبد الله بن عتيك) لأنها أقوى سنداً من غيرها ، ولذا قال صاحب المواهب : « الصواب أن الذى دخل عليه وقتله عبد الله بن عتيك وحده كما فى البخارى » [٢] .

قال الحافظ ابن حجر : وفى هذا الحديث من الفوائد : جواز اغتيال المشرك الذى بلغته الدعوة وأصر على الكفر ، وقتل من أعان على رسول الله – ﷺ – بيده أو ماله أو لسانه ، وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم ، والأخذ بالشدة فى محاربة المشركين ، وجواز إبهام القول للمصلحة ، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين ، والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك – رضى الله عنه – على أبى رافع بصوته واعتماده على صوت الناعى بموته [٣] .

وبمقتل أبى رافع دب الرعب فى قلوب يهود خيبر ، وزالت عن طريق

---

(١) صحيح البخارى « باب : قتل أبى رافع » ج ٥ ص ١١٧ .

(٢) شرح المواهب للزرقانى ج ٢ ص ١٧٠ .

(٣) فتح البارى ج ٧ ص ٣٤٢ « كتاب المغازى » .

الإسلام عقبة كأداء طالما آذت المسلمين ، وكان مقتله تمهيدا لفتح خيبر .

١٢ - سرية قتل أُسَيْر :

تولى أسير بن رزام زعامة يهود خيبر بعد مقتل أبى رافع سلام بن أبى الحقيق ، وكان أسير يجتمع ببنى غطفان ليعقد معهم العقود والاتفاقيات ليكونوا معه عندما يشتبك مع المسلمين فى حرب ، وأخذ يشجع اليهود بعد ذلك على الحرب ويقول لهم : « والله ما سار محمد - ﷺ - إلى أحد من يهود ، ولابعث أحداً من أصحابه إلا أصاب منهم ماأراد ، ولكن سأصنع معه ما لم يصنع غيره : فقالوا له : وماعسيت أن تصنع ؟ قال : سأجمع غطفان وغيرها من القبائل ، ونسير إليه فى عقر داره ، فإنه لم يغز أحد فى عقر داره إلا أدرك منه عدوه ما يريد ، فقالوا له : نعم ما رأيت » (١).

وترامت أنباء تهديدات « أسير بن رزام » إلى مسامع المسلمين، فأرسل النبى - ﷺ - عبد الله بن رواحة - رضى الله عنه - على رأس ثلاثة نفر من المسلمين ليعرفوا أخبار أسير بن رزام .

وكان مسيرهم إليه فى رمضان من السنة السادسة ، فلما وصل عبد الله بن رواحة إلى ناحية خيبر دخل فى حوائطها ، دون أن يفطن إليه أحد وفرق زملاءه الثلاثة على الحصون ، وأخذ الجميع يتنطسون أخبار (أسير بن رزام) ومن معه لمدة ثلاثة أيام ، فعلموا أنه يضمر الشر للمسلمين ، ويعد العدة لغزوهم .

فعادوا إلى النبى - ﷺ - فحدثوه بما رأوا وسمعوا ، وقالوا له : تركنا « أسير بن رزام » يجهز الكتائب لغزونا ، فعندئذ رأى النبى - ﷺ - بحسن سياسته أن يرسل إلى « أسير بن رزام » من يدعوه إلى القدوم

---

(١) شرح المواهب للزرقانى ج ٢ ص ١٧٠ .

على المدينة لمفاوضته فيما يريد ، وندب لتلك المهمة ثلاثين رجلا برئاسة عبد الله بن رواحة – رضى الله عنه – فوصلوا إلى خيبر فى شوال من السنة السادسة .

فلما دخلوا على « أسير بن رزام » قالوا له : نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له ، قال:نعم ، ولى منكم مثل ذلك ؟ قالوا له : إن رسول الله – ﷺ – بعثنا إليك ليستعملك على خيبر، ويحسن إليك ، فطمع فى ذلك واستشار بعض اليهود فى الخروج إلى المدينة فخالفوه ، ولكنه خرج ومعه ثلاثون رجلا من اليهود وخرج المسلمون معه ، فلما كانوا (بالقرقرة) (١) ندم أسير على خروجه إلى المدينة ، وحاول أن يستل سيفه ليغدر بالمسلمين ففطن عبد الله بن أنيس – رضى الله عنه – له وهو يريد السيف ، فقال له : أغدر يا عدو الله ؟ ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضرب (أسير) عبد الله بن أنيس بمخراش فى يده من شوحط فأمه – أى بآلة من شجر الجبال الذى يتخذ منه القسى – فشجه ، ومال كل رجل من المسلمين على صاحبه من اليهود ، فقتله إلا رجلا واحداً أفلت على رجليه ، ولم يصب من المسلمين أحد ثم قدموا على النبى – ﷺ – فحدثوه بما جرى لهم مع (أسير) ورجاله فقال لهم – ﷺ – قد نجاكم الله من القوم الظالمين .

وبمقتل أسير بن رزام تخلص المسلمون من يهودى طاغية أراد أن يغزوهم فى دارهم وأظهر الغدر للمسلمين ، فجنى على نفسه بغدره وظلمه .

١٣ – سرية كرز إلى العرنيين :

وفى شهر شوال من هذه السنة قدم على رسول الله – ﷺ – ثمانية

---

(١) (القرقرة) مكان على بعد سبعة أميال من خيبر .

نفر من قبيلتي عُكْل وعرينة فأظهروا الإسلام وبايعوا رسول الله - ﷺ - وكانوا سقاماً مصفرة ألوانهم منتفخة بطونهم . فقالوا : يارسول الله ، إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف ، وإن هواء المدينة لا يوافقنا ، فأمر لهم النبى - ﷺ - بذود من الإبل معها راع ، وأمرهم بالبقاء معها فى مرعاها بالصحراء ليشربوا من ألبانها ففعلوا .

فلما عادت إليهم عافيتهم وصحتهم كفروا بعد إسلامهم ، وعدوا على الإبل فاستاقوها ثم انقضوا على الراعى فقتلوه وقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك فى لسانه .

فلما علم النبى - ﷺ - بذلك بعث فى أثرهم كرز بن جابر فى عشرين راكباً ، فلحقوا بهم فأسروهم جميعاً ثم عادوا بهم إلى المدينة ، فأمر النبى - ﷺ - بأن يمثل بهم كما مثلوا بالراعى ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وسمرت عيونهم ، وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم . وقد نهى النبى - ﷺ - بعد ذلك عن المثلة .

وهكذا يكون جزاء الغادرين الذين يقابلون الإحسان بالإساءة ، وكرم المعاملة باللوم والخيانة والاعتداء .

١٤ - بعث عمرو لقتل أبى سفيان :

ذكر بعض المؤرخين - كابن سعد وغيره - أن أبا سفيان بن حرب جلس يوماً فى نادى قومه فقال : « ألا أحد يذهب إلى محمد فيقتله فنستريح منه فإنه يمشى فى الأسواق ؟ فأتاه رجل من الأعراب فقال : لقد وجدت أجمع الرجال قلبا ، وأشدهم بطشا ، وأسرعهم شدا ، فإن أنت قويتنى خرجت إليه حتى أغتاله [١] ، فسر أبو سفيان لحديث الأعرابى ، وقال

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٨٨ بتصرف .

له : اطو أمرك عن الناس ، ثم أعطاه بعيراً ونفقة أجراً له على أداء مهمته

فخرج الأعرابي قاصداً المدينة فوصلها بعد ست ليال ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله – ﷺ – حتى أرشد إليه ، فعقل راحلته ، ثم توجه إلى رسول الله – ﷺ – وهو فى مسجد بنى عبد الأشهل . فلما رآه الرسول عليه الصلاة والسلام – قال : « إن هذا الرجل ليريد غدرا وإن الله حائل بينه وبين ما يريد، ثم أقبل الرجل لينحنى على رسول الله فجذبه أسيد بن حضير من إزاره فسقط الخنجر على الأرض . فارتاع الرجل وأسقط فى يده ، وانقض عليه أسيد فخنفه خنقاً شديدا ، فقال رسول الله – ﷺ – للرجل : « اصدقنى ماأنت » ؟ فقال الرجل : وأنا آمن إذا صدقتك ؟ قال : نعم . فأخبره بأمره وبما قاله أبو سفيان ، فخلى عنه رسول الله – ﷺ – .

فقال الرجل : والله يامحمد ما كنت أخاف الرجال فما هو إلا أن رأيتك حتى ذهب عقلى ، وضعفت نفسى ، ثم إنك اطلعت على ماهممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق ، وأن حزب أبى سفيان حزب الشيطان ، ثم أسلم .

وبعد ذلك أرسل النبى – ﷺ – عمرو بن أمية الضمرى وسلمة ابن أسلم إلى أبى سفيان ، وقال لهما : « إن أصبتما منه غرة فاقتلاه » فخرجا حتى قدما مكة ليلا ، فاتجها شطر البيت الحرام ليطوفا به قبل أن يؤديا ما أرسلا من أجله ، فعرف عمراً أحد رجال مكة فصاح قائلا : هذا عمرو ابن أمية ما جاء إلا لشر ، وأخذ الناس يتجمعون للقبض عليه ، فلما أيقن عمرو أنه لن يستطيع أن يصل إلى أبى سفيان بعد أن اكتشف أمره هرب هو وصاحبه ورجعا إلى المدينة .

وفى الطريق لقى عمرو بن أمية رجلا من قريش فقتله ، ثم قتل آخر – أيضاً – لأنه سمعه يتغنى بقوله .

ولست بمسلم مادمت حيا ولست أدين دين المسلمين

ثم لقى رسولين لقريش بعثتهما يتجسسان أخبار المسلمين لها ، فقتل أحدهما وأسر الثانى فقدم به المدينة .

قال ابن سعد : « فجعل عمرو - بعد وصوله إلى المدينة - يخبر النبى - ﷺ - خبره ، ورسول الله - ﷺ - يضحك » [1] ثم دعا له بخير .

وهكذا نجا أبو سفيان ، كأن الله - تعالى - قد أراد له أن يعيش حتى يشهد بنفسه فتح مكة على أيدى المسلمين ، ويدخل فى دين الإسلام عن طواعية واختيار .

وكان هذا البعث قبيل عقد صلح الحديبية من السنة السادسة . وفى تلك السنة حدثت الغزوتان الآتيتان :

١ - غزوة بنى لحيان وكانت فى شهر ربيع الأول .

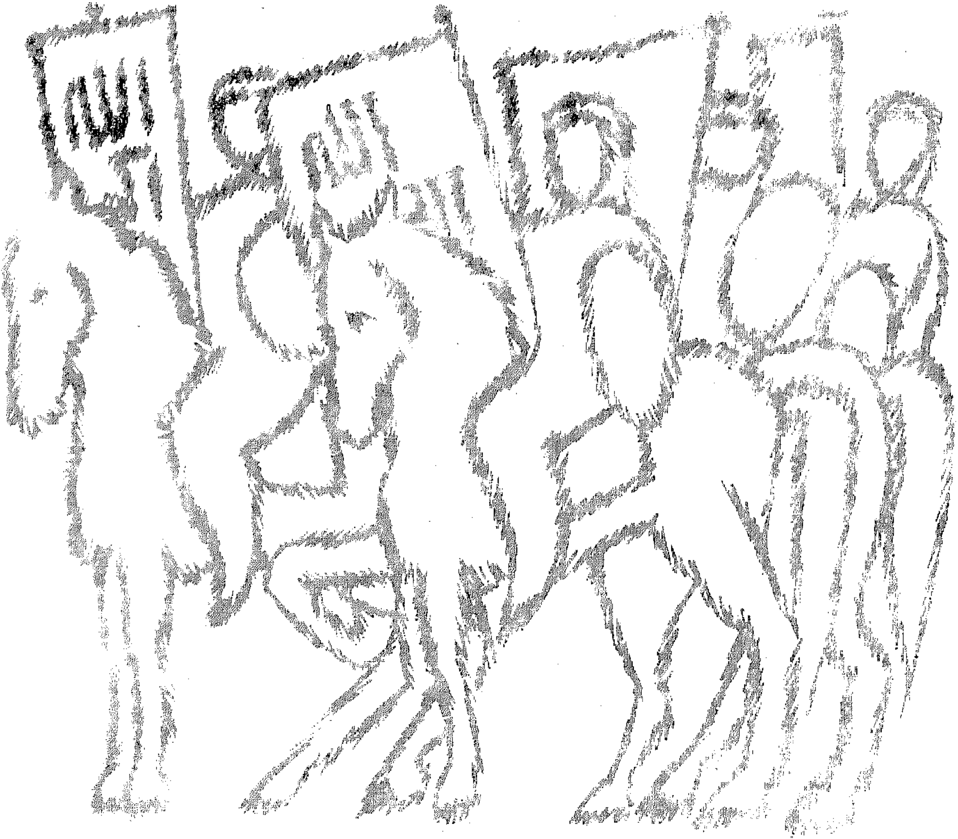
٢ - وغزوة الحديبية وكانت فى شهر ذى القعدة .



---

(١) الطبقات الكبرى لابن مسعد ج ٢ ص ٦٨ .

سرايا
السنة السابعة





١ - سرية عمر إلى هوازن :

ثم أقبلت السنة السابعة وفيها أرسل النبى - ﷺ - عدداً من السرايا ، لإعلاء كلمة الله ، وتأديب الغادرين ، وكان من أشهرها ما يلى :

سرية عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى بطن من بطون هوازن . بناحية تربة (١) ، وذلك لأنهم كانوا يظهرون العداوة للمسلمين ويناصرون المشركين عليهم .

وكان مع عمر - رضى الله عنه - ثلاثون راكبا ، وكان معهم دليل من بنى هلال لكى يدلهم على منازل القوم . فكان عمر ومن معه يسيرون الليل ويكمنون النهار ، فلما انتهوا إلى ديارهم وجدوهم قد هربوا منها ومعهم ماشيتهم وذراريهم بعد أن أحسوا بقدوم المسلمين .

ولما يئس عمر ومن معه من العثور على أحد منهم قفل راجعاً إلى المدينة . فقال له الدليل الذى كان معهم بعد أن أصبحوا على بعد ستة أميال من المدينة - ياعمر : هل لك فى قتال جمع آخر من خثعم ؟ فقال له عمر :

---

(١) تربة : اسم موضع على أربع ليال من مكة على طريق صنعاء ونجران .

إن رسول الله – ﷺ – لم يأمرنى إلا بقتال هوازن فى أرضهم ، ولم يأمرنى بقتال غيرهم ولو أمرنى لفعلت .

وكانت تلك السرية فى شعبان من هذه السنة .

٢ – سرية أبى بكر إلى بنى فزارة :

ثم بعث النبى – ﷺ – بعد ذلك أبا بكر الصديق ومعه جماعة من المسلمين لقتال بنى فزارة ، لأنهم كانوا يؤذون المسلمين .

وقد تكلم الإمام ابن كثير عن هذه السرية فقال . قال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار عن إياس بن مسلمة قال : حدثنى أبى فقال : خرجنا مع أبى بكر وأمره رسول الله – ﷺ – علينا ، فغزونا بنى فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا (١) ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة فقُتلنا على الماء من مر بنا . قال مسلمة . ثم نظرت إلى عنق (٢) من الناس فيه من الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو فى آثارهم ، فخشيت أن يسبقونى إلى الجبل فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل . قال . فجئت بهم أسوقهم إلى أبى بكر حتى أتيته على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قَشْع (٣) من أدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب قال . فنَفَلنى أبو بكر ابنتها . قال : فما كشَفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة ، ثم بت فلم أكشف لها ثوباً . قال فلقينى رسول الله – ﷺ – فى السوق فقال لى : « ياسَلَمة هَبْ لِى المرأة » قال فقلت والله يارسول الله لقد أعجبتنى وماكشفت لها ثوباً ، قال : فسكت رسول الله ﷺ وتركنى حتى إذا كان من الغد لقينى رسول الله ﷺ فى السوق ، فقال : « ياسلمة هب لى المرأة » قال : فقلت يا رسول الله ، والله لقد أعجبتنى

---

(١) عرسنا : نزلنا فى ذلك المكان للاستراحة آخر الليل .

(٢) عنق من الناس أى جماعة متقدمة .

(٣) القشع : الفرو الخلق

وما كشفت لها ثوبا ، قال : فسكت رسول الله ﷺ وتركني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال : « يا سلَمة هَبْ لي المرأة لله أبوك » قال قلت يارسول الله : والله ما كشفت لها ثوباً ، وهي لك يارسول الله . قال : فبعث بها رسول الله إلى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله – ﷺ – بتلك المرأة[1] . وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عِكرمة بن عمار به .

٣ – سرية بشير إلى بني مرة :

ثم بعث النبي – ﷺ – بشير بن سعد الأنصاري على رأس ثلاثين رجلا من الصحابة لقتال بني مرة بفدك [2] ، فلما ورد ديارهم لم يجد إلا الرعاة فسأل عن بني مرة فقالوا له إنهم في نواديهم . فاستاق بشير ومن معه النعم والشاء وانحدروا راجعين إلى المدينة . وكان بنو مرة خارج دورهم ، فلما علموا بما فعله المسلمون أجمعوا جموعهم وتتبعوهم ليلا وأخذوا يرمونهم بالنبال . وفي الصباح اقتتل الفريقان قتالا شديداً ، وقد استشهد معظم المسلمين الذين اشتركوا في هذه السرية بعد أن أبلوا في الدفاع عن أنفسهم بلاء حسنا ، وسقط بشير بين القتلى جريحاً حتى ظنوه قد مات ، فلما أمسى المساء ، تحامل على نفسه ، وعاد إلى المدينة فأخبر النبي – ﷺ – بما حدث له ولأصحابه .

وكانت هذه السرية في شهر شعبان من السنة السابعة .

٤ – سرية غالب إلى أهل الميفعة :

وفي رمضان أرسل النبي – ﷺ – غالب بن عبد الله الليثي ومعه

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٢٢٠ طبعة بيروت .

(٢) فدك : اسم موضع بالقرب من خيبر .

مائة وثلاثون راكباً إلى أهل الميفعة (١) – وهم بنو عوال وبنو عبد بن ثعلبة – ، وكان دليل المسلمين إلى ديار القوم يسار مولى رسول الله – ﷺ – فلما وصل غالب وصحبه إلى ديار أعدائهم هجموا عليها ، فقتلوا عدداً منهم ثم استاقوا ما غنموه من إبل وشاء إلى المدينة .

قال صاحب المواهب : « وفى هذه السرية قتل أسامة بن زيد نهيك ابن مرداس بعد أن قال لا إله إلا الله . فقال أسامة : يارسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل ، فقال له رسول الله : هلا شققت عن قلبه فنظرت إليه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟ فقال أسامة : لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله »(٢) .

ويرى الإمام البخارى والحاكم أن قتل أسامة لهذا الرجل لم يكن فى هذه السرية ، وإنما كان فى سرية أخرى كانت فى السنة الثامنة وكان هو أميرها . إلا أن أهل المغازى كابن سعد وابن إسحاق والواقدى يرون أن ذلك كان فى سرية غالب هذه .

٥ – سرية بشير إلى غطفان :

وفى شوال من هذه السنة ، بلغ النبى – ﷺ – أن عيينة بن حصن قد واعد جماعة من غطفان كانوا مقيمين قريباً من خيبر للإغارة على المدينة .

فدعا النبى – ﷺ – بشير بن سعد فعقد له لواء وبعث معه ثلثمائة رجل ، وأمره أن يسير إلى هوازن ليفرق جموعها .

ولبى بشير الأمر وخرج من المدينة بمن معه ، فكانوا يسيرون الليل ، ويختفون بالنهار حتى وصلوا إلى مشارف ديار أعدائهم .

---

(١) الميفعة : موضع مرتفع من الأرض على بعد ثمانية برد من المدينة بناحية نجد .

(٢) شرح المواهب للزرقانى ج ٢ ص ٢٥١ .

فلما بلغ عيينة وهوازن أن بشيراً وأصحابه قد اقتربوا من ديارهم هربوا وتفرقوا ، فاقتحم المسلمون ديارهم فأصابوا ما فيها من نعم وماشية ، وعثروا على جاسوس لعيينة فقتلوه ، ثم التقوا بجمع من أتباع عيينة - أيضاً - فهزموهم وأجبروهم على الفرار بعد أن أسروا منهم رجلين ثم عادوا إلى المدينة ومعهم تلك الغنائم .

وعندما وقف الرجلان الأسيران بين يدى رسول الله - ﷺ - أظهرا الإسلام فأطلق سراحهما .

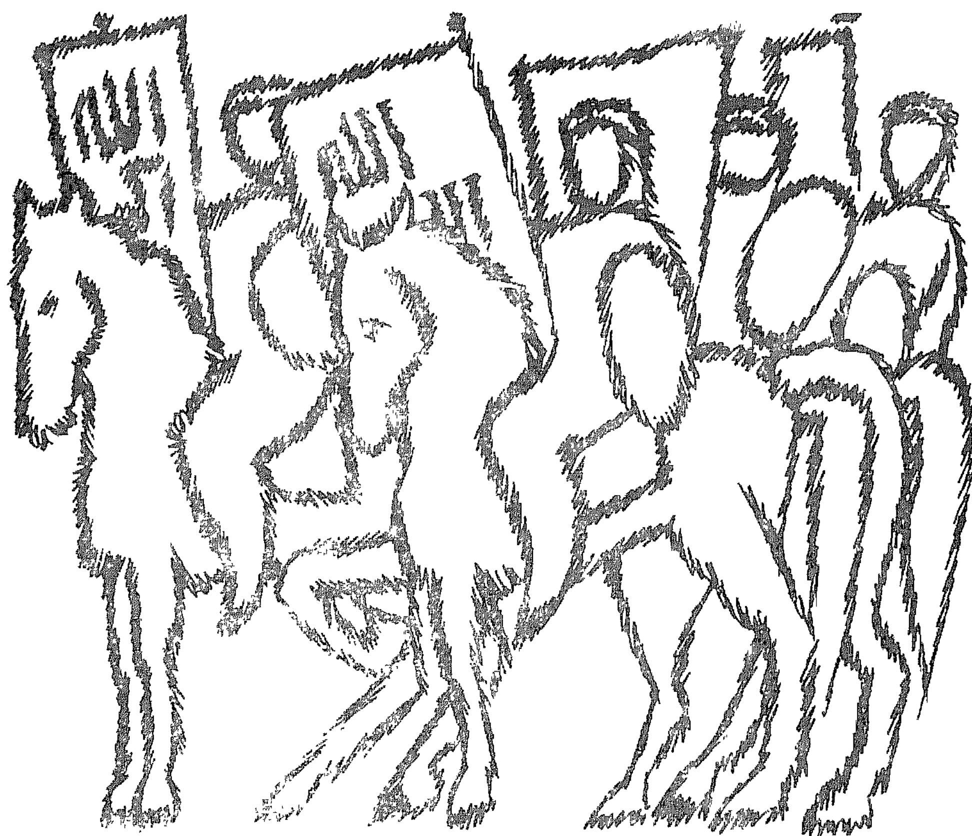
٦ - سرية السلمى إلى بنى سليم :

ثم بعث النبى - ﷺ - ابن أبى العوجاء السلمى على رأس خمسين رجلا إلى بنى سليم لتأديبهم على إيذائهم للمسلمين .

فخرج إليهم بمن معه ، وكان قد عرف بمقدمه على بنى سليم رجل منهم فأخذ يحذر قومه ويأمرهم بإعداد العدة لقتاله . فلما وصل ابن أبى العوجاء إلى ديارهم جعل يدعوهم إلى الإسلام ولكنهم لم يستجيبوا ، بل قالوا له لاحاجة لنا إلى ما دعوتنا إليها . ثم نشب القتال بين الفريقين وكان عدد بنى سليم أضعاف عدد هذه السرية وقد استمات المسلمون فى قتال أعدائهم ، إلا أن بنى سليم تكاثروا عليهم فاستشهد أكثر المسلمين ولم ينج منهم سوى قائدهم بعد أن جرح جرحاً بليغاً ، فعاد إلى المدينة وأخبر النبى - ﷺ - فتأثر - ﷺ - بما حدث له ولرفاقه . وكان خروج تلك السرية إلى بنى سليم فى شهر ذى الحجة من السنة السابعة ، وكانت عودة ابن أبى العوجاء إلى المدينة فى أول يوم من صفر من السنة الثامنة .

وفى هذه السنة حدثت غزوة خيبر التى تم للمسلمين فيها الظفر على اليهود .

سرايا
السنة الثامنة





١ – سرية غالب إلى بنى الملوح :

انتهت السنة السابعة ، وجاءت السنة الثامنة ، وفيها بعث النبى – ﷺ – أكثر من عشرة بعوث من أجل إعلاء كلمة الله ، وتأديب المنحرفين عن طريقه ، وكان من أهم البعوث التى أرسلها النبى – ﷺ – ما يلى :

فى صفر من هذه السنة ، بعث النبى – ﷺ – غالب بن عبد الله الليثى ومعه بضعة عشر رجلا إلى بنى الملوح ، وهم قوم من العرب كانوا يسكنون بالكديد (١) وكانوا يسيئون إلى المسلمين .

فخرج غالب وصحبه لأداء ما كلفه به رسول الله – ﷺ – وفى الطريق التقى بالحارث بن مالك الليثى المعروف بابن البرصاء ، وكان الحارث خصما لدودا للمسلمين ، فأسره غالب ورفاقه .

فقال لهم الحارث : إنما جئت أريد الإسلام وما خرجت إلا لرسول الله – ﷺ – فقالوا له : إن كنت مسلماً فلن يضرك رباط ليلة ، وإن كنت على غير ذلك فإننا نريد أن نستوثق منك ، ثم شدوا وثاقه وتركوا

---

(١) الكديد : اسم ماء بين عسفان وعديد .

معه رجلا منهم وقالوا له : إن نازعك فاحتز رأسه .

ثم تابع غالب وصحبه سيرهم فوصلوا إلى ديار القوم عند غروب الشمس ، فأمهلوهم حتى إذا ما اطمأنوا وناموا شنوا عليهم الغارة مع مطلع الفجر فقتلوا عدداً منهم واستاقوا ماشيتهم وقفلوا راجعين ، ومروا فى طريقهم بالحارث بن مالك فأخذوه معهم .

لكن بنى الملوح لم يتركوا المسلمين ، بل جمعوا جموعهم وخرجوا فى آثار غالب وأصحابه فأدركوهم ، وحاولوا أن يحيطوا بهم ، وهنا أمد الله المسلمين بجند من عنده – وما يعلم جنود ربك إلا هو – ، فقد أرسل – سبحانه – الوادى بالسيل حتى امتلا بالماء بحيث لا يستطيع أحد اجتيازه .

وقف بنو الملوح ينظرون إلى المسلمين وهم يسوقون ما غنموه منهم دون أن يستطيعوا الوصول إليهم .

وعاد غالب ومن معه إلى المدينة تحدوهم عناية الله ورعايته ، وكان شعارهم فى هذا اليوم : أمت أمت .

٢ – سرية غالب إلى فدك :

وبعد أن عاد غالب مؤيداً منصوراً على بنى الملوح ، دعاه النبى –ﷺ– وقال له :

« سر حتى تنتهى إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد فإن أظفرك الله بهم فلا تبق فيهم » ثم أرسل معه مائتى رجل وعقد له لواء .

وسار غالب ومن معه حتى وصل إلى بنى مرة الذين قتلوا أصحاب بشير بن سعد ، وكانوا يقيمون بفدك ، فأغار عليهم هو ورفاقه مع طلوع الفجر ، وقتلوا من بنى مرة عدداً من رجالهم ، وأسروا عدداً آخر ، ثم

استاقوا ما غنموه منهم من إبل وغنم ، فكان نصيب كل واحد منهم من تلك الغنائم عشرة من الإبل أو ما يعادلها من الغنم .

وكان غالب – رضى الله عنه – قد بعث طلائعه لتستكشف له أحوال بنى مرة قبل أن تبدأ المعركة ، فلما عادوا إليه وأخبروه خبرهم ، جمع أصحابه فخطبهم خطبة قال فيها بعد حمد الله والصلاة على رسوله : أيها الناس إنى أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وأوصيكم بأن تطيعونى ولا تعصونى ولا تخالفوا لى أمراً فإنه لا رأى لمن لا يطاع . ثم ألف بين كل اثنين وقال لهم : لا يفارق أحد منكم زميله ، وإذا كبرت فكبروا ، فلما أحاطوا بالقوم كبر غالب فكبروا معه وانتهت المعركة بانتصارهم ، وكان شعارهم : أمت أمت .

ثم عاد غالب إلى المدينة ومعه رفاقه بعد أن قام بأداء ما كلف به خير قيام . وكانت هذه السرية – أيضاً – فى صفر من السنة الثامنة .

٣ – سرية شجاع إلى بنى عامر :

ثم بعث النبى – ﷺ – شجاع بن وهب الأسدى ومعه أربعة وعشرون رجلا إلى جمع من هوازن يقال لهم بنو عامر وكانوا يقيمون بالسيء (١) وأمره أن يغير عليهم لإساءتهم إلى المسلمين .

فخرج شجاع بأصحابه فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى صبح القوم وهم غافلون ، فأغار عليهم ، وأصاب منهم غنائم كثيرة .

ثم عاد إلى المدينة بعد أن غاب عنها خمس عشرة ليلة ، وبلغ نصيب الواحد منهم من هذه الغنائم خمسة عشر بعيراً أو مايعادلها من الغنم .

وكانت هذه السرية فى شهر ربيع الأول من السنة الثامنة .

---

(١) السيء : موضع على خمس ليال من المدينة وقيل : هو اسم ماء على ثلاثة مراحل من مكة .

٤ – سرية كعب إلى ذات أطلاح :

وفى شهر ربيع الأول – أيضاً – بعث النبى – ﷺ – كعب بن عمير الغفارى فى خمسة عشر رجلا إلى ذات أطلاح من أرض الشام من وراء وادى القرى .

فخرج كعب ورفاقه فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار ، حتى انتهوا إلى ديار القوم ، فرآهم رجل منهم فأسرع إلى قومه وأخبرهم بقلة عدد المسلمين .

وعندما تلاقى كعب بأعدائه دعاهم إلى الإسلام فأبوا أن يستجيبوا له ثم دار القتال بين الفريقين – وكان المشركون أضعاف عدد المسلمين – فاستشهد أصحاب كعب جميعاً بعد أن قاتلوا قتال الأبطال ، وسقط كعب بين القتلى جريحا فظنه الأعداء قد مات ، فلما أدبروا تحامل كعب على نفسه وسار حتى وصل المدينة.

وقد تأثر النبى – ﷺ – كثيراً عندما علم باستشهاد رفاق كعب ، وهم بأن يبعث سرية أخرى لتنتقم من قاتليهم ولكنه عدل عن ذلك بعد أن علم أنهم قد تركوا ديارهم وساروا إلى موضع آخر .

٥ – سرية مؤتة [١] :

تعتبر سرية مؤتة من أعظم البعوث الحربية التى ابتعثها النبى – ﷺ – من أجل إعلاء كلمة الله ، ورد كيد أعدائه .

---

(١) مؤتة : قرية بأدنى البلقاء من أرض الشام على مرحلتين من بيت المقدس .
قال صاحب المواهب ما ملخصه : سماها بعضهم غزوة لكثرة جيش المسلمين فيها ، وسماها آخرون سرية لأنها طائفة من جيشه – ﷺ – ولم يخرج مع الجيش فيها .

وكانت هذه السرية فى شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة ، وكان السبب فيها أن النبى - ﷺ - كان قد أرسل الحارث بن عمير الأزدى بكتاب إلى أمير بصرى من قبل هرقل ، فلما وصل الحارث بكتاب رسول الله - ﷺ - إلى أرض مؤتة تصدى له شرحبيل بن عمرو الغسانى أحد أمراء هرقل على الشام وقال له : أين تريد ؟ فقال الحارث : أريد الشام . فقال له شرحبيل : لعلك من رسل محمد - ﷺ - قال :نعم . فأمر به فأوثق رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه ، ولم يقتل لرسول الله - ﷺ - أحد من الرسل سوى الحارث - رضى الله عنه - وعلم النبى - ﷺ - بذلك فاشتد غضبه ، وأمر بجمع الناس ، ثم جهز منهم ثلاثة آلاف للخروج ، وقال : أمير الناس زيد بن حارثة ، فإن قتل فجعفر بن أبى طالب فإن قتل فعبد الله بن رواحة ، فإن قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم . ثم عقد النبى - ﷺ - لواء أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة ، وأوصاه ومن معه بأن يسيروا حتى ينتهوا إلى المكان الذى قتل فيه الحارث فيدعوا من هناك إلى الإسلام ، فإن استجابوا لهم تركوهم وإلا قاتلوهم .

وأسرع جيش المسلمين بقيادة زيد بالخروج من المدينة فعسكر على بعد ثلاثة أميال منها ، وخرج الرسول - ﷺ - مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم وكان مما قاله لهم : « أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً . اغزوا باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله . ولاتغدروا ولا تغلوا ، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجراً ، ولا تهدموا بناء »[1] .

قال ابن إسحاق . فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج ، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله - ﷺ - وسلموا عليهم ، فلما ودع عبد الله بن رواحة من ودع من أمراء رسول الله بكى ، فقالوا : ما

---

(١) شرح المواهب للزرقانى ج ٢ ص ٢٦٩ .

يبكيك يا بن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بى حب الدنيا ولاصبابة بكم ، ولكننى سمعت رسول الله يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار ، وهى : ﴿ وَإِنْ منكُم إلا وَارِدُها كَانَ علَى ربكَ حَتْماً مقْضِياً ﴾ .

فلم أدر كيف لى بالصدور بعد الورود . فقال المسلمون . صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين . فقال عبد الله بن رواحة [١] .

لكننى أسألُ الرحمن مغفـرة ... وضربة ذات فَرع تَقْذِفُ الزبدَا[٢]
أو طعنة بيدى حَرَّان مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبـدا[٣]
حتى يقال إذا مروا على جدثى ... أرشده الله من غارٍ وقد رشدا[٤]

ثم أقبل عبد الله بن رواحة على رسول – الله ﷺ – فودعه ثم قال :

أنت الرسول فمن يُحْرَم نوافله ... والوجه منه فقد أزرى به القدر[٥]
فثبت الله ما آتاك من حسَن ... فى المرسلين ونصرًا كالذى نصروا[٦]
إنى تفرست فيك الخير نافلة ... فراسة خالفت فيك الذى نظروا[٧]

---

(١) الروحة الأنف في شرح سيره ابن هشام ج ٧ ص ١٠
(٢) ذات فرع : يريد واسعة . والزبد : مايعلو الدم الذى يتفجر من الطعنة .
(٣) مجهزة : سريعة القتل .
(٤) الجدث : القبر .
(٥) أزرى به القدر : أى قعد به .
(٦) ثبت الله ما آتاك : أى قواك وأيدك وجعل لك الغلبة .
(٧) تفرست : تبينت .

ثم أسرع جيش المسلمين بعد ذلك فى المسير إلى الشام ، أملا منهم فى أن يأخذوا أعداءهم على غرة فيبغتوهم فى ديارهم ويكون لهم النصر عليهم ، ومازالوا فى مسيرتهم حتى بلغوا ناحية معان من أرض الشام . فترامت أنباؤهم إلى شرحبيل بن عمرو الغسانى وإلى غيره من أمراء الروم وأتباعهم ، فجمع شرحبيل مايقرب من مائة ألف من أتباعه ، وأرسل إلى هرقل يستعينه على حرب المسلمين فأمده بمائة ألف أخرى من الروم وممن كان قد انضم إليهم من قبائل لَخْم وجذام وبَهْراء .

ويرى بعض المؤرخين أن هرقل بنفسه هو الذى كان يقود تلك الجموع ، ويرى آخرون أن تيودور أخا هرقل هو الذى كان على رأس هذه الجيوش لا هرقل نفسه . وعلم المسلمون وهم بمعان بأخبار هذه الجموع الهائلة ، فأقاموا بها ليلتين يتشاورون فيما بينهم ماذا سيصنعون أمام تلك الآلاف التى لا قبل لهم بها ؟ فاقترح بعضهم أن يكتبوا لرسول الله ـ ﷺ ـ فيخبروه بعدد الأعداء ، لكى يمدهم بمدد من عنده أو يأمرهم بما يشاء ، وكاد الجميع أن يتفقوا على هذا الرأى لولا أن عبد الله بن رواحة وقف خطيباً فى الناس فقال : « ياقوم والله إن التى تكرهون للتى خرجتم إياها تطلبون . وهى الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولاكثرة . وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين : إما ظهور وإما شهادة » .

وتأثر الناس بما قاله ابن رواحة ، وتعاهدوا على القتال فى سبيل الله ، وقال بعضهم لبعض : لقد صدق والله ابن رواحة .

ومضى المسلمون فى طريقهم حتى إذا كانوا بالبلقاء من أرض الشام لقيتهم جيوش هرقل من الروم والعرب عند قرية يقال لها مشارف . فلما دنا الأعداء من المسلمين انحاز المسلمون إلى مؤتة لأنهم رأوها أفضل مكان للتحصن والحماية .

وفى مؤتة بدأت معركة حامية الوطيس بين مائتى ألف من جيوش الروم وثلاثة آلاف من المسلمين ، قد ملأ الإيمان قلوبهم فجعلهم لا يبالون بكثرة أعدائهم ، وحمل الراية زيد بن حارثة ، وجعل يقاتل بشجاعة واستماتة حتى شاط فى رماح القوم أى : حتى تمزق وتقطع ، وذهب كالشىء المتفرق المحترق بسبب كثرة ماأصابه من طعنات ، فتناول الراية من يده جعفر بن أبى طالب وكان فى الثالثة والثلاثين من عمره ، فأخذ يقاتل قتال الأبطال المغاوير ، وعندما أحاط به المشركون وهو يقاتلهم على فرسه ترجل عنها ، واندفع على قدميه وسط الصفوف يهوى بسيفه على رءوس أعدائه حتى سقط شهيدا .

ورى الإمام البخارى عن ابن عمر قال : « كنت فى تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبى طالب فوجدناه فى القتلى ووجدنا فى جسده بضعا وتسعين ما بين طعنة برمح ورمية بسهم » .

وفى رواية : « وماجدنا منها شيئاً فى ظهره »[1] .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال : حدثنى أبى – وكان قد حضر معركة مؤتة – فقال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها   طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها   كافرة بعيدة أنسابها
على إذ لاقيتها ضرابها

وقال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه

---

(١) شرح المواهب للزرقانى ج ٢ ص ٢٧١ .

بعضديه [1] حتى قتل . فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء . ويقال : إن رجلا من الروم يومئذ ضربه فقطعه نصفين [2] .

ثم أخذ الراية من بعد جعفر عبد الله بن رواحة ، فتقدم بها وهو يتردد بعض التردد ، ولكنه بعد قليل تشجع وأخذ يقاتل القوم وهويقول :

يا نفس إلا تقتلى تموتى   هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت   إن تفعلى فعلهما هديت

أى : إن تفعلى فعل جعفر وزيد تهتدى إلى الخير . ثم أقدم على القتال .

وفى خلال ذلك أتاه ابن عم له بقطعة من اللحم فناولها إياه وقال له : خذها ياعبد الله لتشد بها صلبك فإنك قد لقيت فى أيامك هذه مالقيت . فأخذها من يده وما كاد يقتطع منها قطعة حتى رأى ناحية من الناس قد اشتد فيها القتال . فقال لنفسه : وأنت فى الدنيا ؟ ثم ألقى قطعة اللحم من يده ، ورمى بنفسه وسط المعمعة ومازال يقاتل حتى قتل .

وهكذا استشهد الأمراء الثلاثة بعد أن دافعوا عن عقيدتهم دفاع الأبطال .

ثم أخذ الراية من بعدهم ثابت بن أرقم – أخو بنى عجلان – فصاح فى الناس : يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية شرع يقاتل الروم بمهارة واحتيال ، فإنه – رضى الله عنه – فى هذا الموقف الدقيق ، وفى تلك الظروف الصعبة ، أخذ يدور بالمسلمين حتى انضمت

---

(١) احتضنه : أخذه فى حضنه . وحضن الرجل : ماتحت العضد إلى أسفل .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤٣٤ .

صفوفهم ، وأخذ يناوش الأعداء ويراوغهم حتى أقبل الليل ، ووضع الجيشان السلاح إلى الصباح .

« وفى أثناء ذلك أحكم خالد تدبير خطته ، فوزع عدداً غير قليل من رجاله فى خط طويل من مؤخرة جيشه أحدثوا إذ أصبح الناس من الجلبة ما أدخل فى روع عدوه أن مدداً جاءه من عند النبى – ﷺ – وإذا كان ثلاثة آلاف قد فعلوا بالروم الأفاعيل فى اليوم الأول وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، فما عسى أن يصنع هذا المدد الذى جاء ولا يدرى أحد عدته ؟! لذلك تقاعس الروم عن مهاجمة خالد وسروا بعدم مهاجمته إياهم ، وكانوا أكثر سرورا بانسحابه ومن معه راجعين إلى المدينة ، بعد معركة لم ينتصر فيها المسلمون وإن كان حقاً كذلك أن عدوهم لم ينتصر عليهم فيها »[1] .

ولقد قاتل خالد الروم قتال الأبطال ، فقد روى البخارى – بسنده – عنه أنه قال : اندقت فى يدى يوم « مؤتة » تسعة أسياف ، وما ثبت فى يدى إلا صفيحة يمانية .

ولقد أخبر النبى – ﷺ – بما أصاب الأمراء الثلاثة قبل أن يعود جيش المسلمين إلى المدينة .

فعن أنس بن مالك أن رسول الله – ﷺ – نعى زيدا وجعفر وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : أخذ الراية زيدفأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب – وعيناه تذرفان – قال : ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم »[2] .

وقال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله – ﷺ – فيما

---

(١) حياة محمد . ص ٤٠٨ .

(٢) صحيح البخارى ج ٧ ص ٤١٣ .

بلغني : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، قال : ثم صمت رسول الله - ﷺ - حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة ما يكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا . ثم قال : « لقد رفعوا إلى فى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا [1] عن سريرى صاحبيه . فقلت : عم هذا ؟ فقيل لى : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى [2] .

وبعد أيام عاد جيش المسلمين إلى المدينة ، فلما اقتربوا منها - بعد تلك المعركة الشاقة المرهقة - تلقاهم النبى - ﷺ - والمسلمون ، وجعل الصبيان يحثون على الجيش التراب ويقولون : « يافرار فررتم من الموت فى سبيل الله ! ! فقال رسول الله - ﷺ - : « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله [3] .

ومع هذه الشهادة المشرفة من النبى - ﷺ - لجيش مؤتة ، فقد ظل بعض المسلمين لا يغفرون لهم انسحابهم .

قال ابن إسحاق : « قالت أم سلمة زوج النبى - ﷺ - لامرأة سلمة بن هشام بن العاصى : مالى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله - ﷺ - ومع المسلمين ؟ فقالت امرأة سلمة : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يافرار فررتم عن سبيل الله حتى قعد فى بيته فما يخرج .

ولم ينس النبي - ﷺ - فى زحمة الحزن الذى أصابه بسبب فقده

(١) ازورارا : ميلا واعوجاجا .
(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤٣٥ .
(٣) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٣٩ .

لعدد من خيار أصحابه ، لم ينس أن يواسى أسر الشهداء ، وأن يقدم لهم أسمى ألوان التكريم ، فقد قال عن الذين استشهدوا « ما يسرهم أنهم عندنا » وأخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن جعفر أنه قال : « جاءنا النبى – ﷺ – بعد ثلاث من موت أبى جعفر فقال : لا تبكوا على أخى بعد اليوم . وادعوا لى بنى أخى ، قال عبد الله : فجىء بنا كأننا أفراخ ، فقال : ادعوا إلى الحلاق ، فجىء بالحلاق فحلق رءوسنا ثم قال – ﷺ – : أما محمد فشبيه بعمنا أبى طالب ، وأما عبد الله فشبيه خلقى وخلقى . ثم أخذ بيدى فأشالها وقال – ثلاث مرات : « اللهم اخلف جعفر أخى فى أهله وبارك لعبد الله صفقة يمينه ، قال عبد الله : وجاءت أمنا فذكرت له يتمنا وجعلت تحزنه . فقال لها النبى – ﷺ – « ألعيلة تخافين عليهم وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة » ؟ .

وعن أسماء بنت عميس – زوجة جعفر – أنها قالت : « لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله – ﷺ – وقد عجنت عجينى ، وغسلت بنى ودهنتهم ونظفتهم . قالت : فقال رسول الله – ﷺ – « ائتنى ببنى جعفر ، فأتيته بهم فتشممهم وذرفت عيناه . فقلت . يارسول الله ، بأبى أنت وأمى ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء ؟ فقال : « أصيبوا هذا اليوم » قالت : فقمت أصيح واجتمع إلى النساء ، وخرج رسول الله – ﷺ – فقال : « لاتغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » .

وعندما استقبل – ﷺ – أسرة زيد ، ورأى بنتا له تبكى بكى لبكائها ، فقال له سعد بن عبادة يارسول الله ماهذا ؟ .

فقال – صلوات الله عليه – هذا شوق الحبيب إلى الحبيب ، إنما هى عبرات الصديق بفقد صديقه .

هذا ، وقد كانت معركة مؤتة بداية لجولات أخرى مع الروم وقد

تمت تلك الجولات فى ظروف مختلفة ، انتهت بسقوط دولة الروم على أيدى المسلمين فى عهد عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – .

٦ – سرية عمرو إلى ذات السلاسل :

انتهت معركة مؤتة كما رأينا برجوع جيش المسلمين إلى المدينة دون أن يشفى غلة من أعدائه ، بل إن القبائل التى كانت تسكن فى شمال الجزيرة أخذت تهون من شأن المسلمين ، وكان لا بد إزاء هذه الحال أن يبعث النبى – ﷺ – بعوثه إلى تلك القبائل لتأديبها حتى تعود للمسلمين هيبتهم .

ففى أعقاب معركة مؤتة بلغ النبى – ﷺ – أن جمعاً من قبيلة قضاعة ، قد تجمعوا للإغارة على المدينة ، فدعا النبى – ﷺ – عمرو بن العاص فقال له : « ياعمرو ، إنى أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك . فقال عمرو : يا رسول الله ، إنى لم أسلم رغبة فى المال ، فقال – ﷺ – نعم المال الصالح للرجل الصالح » ثم عقد له النبى – ﷺ – لواء أبيض ، وجعل معه راية سوداء ، وبعث معه ثلثمائة من خيار المهاجرين والأنصار ، وأمرهم بالسير إلى مشارف الشام ليؤدبوا بنى قضاعة وغيرهم من القبائل الضاربة هناك ، والتى لم ير الإسلام منها إلا شراً ، وأمرهم كذلك بأن يستعينوا فى طريقهم بالقبائل الموالية للمسلمين ، ولبى عمرو ومن معه الأمر واتجهوا فى طريقهم إلى مشارف الشام ، فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار إلى أن وصلوا إلى ذات السلاسل (١) .

وهناك علم المسلمون أن أعداءهم قد جمعوا لهم جموعاً كثيرة ،

---

(١) ذات السلاسل : اسم موضع وراء وادى القرى بيه وبين المدينة عشرة أيام . قيل سمى بذلك لأنه كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة وقيل : سمى بذلك لأن به ماء يقال له السلسل .

فأرسل عمرو أحد جنده إلى النبى – ﷺ – يطلب منه مدداً ، فبعث إليه أبا عبيدة على رأس مائتين من خيار الصحابة فيهم أبو بكر وعمر ، وأمر النبى – ﷺ – أبا عبيدة أن يلحق بمن معه بعمرو ، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا .

وتابع عمرو سيره – بعد وصول أبى عبيدة ومن معه – إلى ديار أعدائه فمزق شملهم وطارد القبائل الموالية للروم حتى أجلاها عن منازلها .

قال ابن سعد : وسار عمرو بالناس حتى وطئ بلاد بَلِّى ودوخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد غدر وبلقين . ولقى فى آخر ذلك جمعا منهم فحمل عليهم المسلمون فهربوا فى البلاد وتفرقوا ، ثم قفل وبعث عوف ابن مالك الأشجعى بريدا إلى رسول الله فأخبره بقولهم وسلامتهم وما كان فى غزاتهم [١] .

وقال البلاذرى : « فلقى عمرو العدو من قضاعة وغيرهم وكانوا مجتمعين ففضهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم ، وهذا يعضده قوله – ﷺ – فيغنمك الله ويسلمك »[٢] .

ومن الأمور التى حدثت فى تلك السرية والتى تدل على سداد تفكير عمرو وفقهه مارواه ابن حبان أن جماعة ممن كانوا مع عمرو سألوه أن يوقدوا ناراً فمنعهم ، فكلموا أبا بكر فكلمه فى ذلك فقال : لا يوقد أحد ناراً وإلا قذفته فيها ، ثم التقى المسلمون بأعدائهم فهزموهم وأراد المسلمون أن يتبعوهم فمنعهم عمرو من ذلك ، فلما عادوا إلى المدينة ذكروا ذلك لرسول الله – ﷺ – فسأله لم فعلت ذلك ياعمرو ؟ فقال : يارسول الله كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم ، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد ، فحمد النبى – ﷺ – له فعله .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٩٥ .
(٢) شرح المواهب للزرقانى ج ٢ ص ٢٧٩ .

وأخرج أبو داود والدارقطني والحاكم بإسناد صحيح عن عمرو بن العاص أنه قال : احتلمت فى ليلة باردة – خلال سرية ذات السلاسل – وخشيت على نفسى إن اغتسلت أن أعتل فتيممت وصليت بالناس ، فقال بعضهم للنبى – ﷺ – بعد عودته إلى المدينة : يارسول الله إن عمرا صلى بنا وهو جنب فقال الرسول : ياعمرو ، هل صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ فقلت : يارسول الله تذكرت قوله – تعالى – ﴿ **ولاتقتلوا أنفسكم إنَّ الله كان بكم رحيما** ﴾ وقد خفت على نفسى من شدة البرد . قال عمرو : فضحك النبى ولم يقل شيئاً .

وقد حدثت هذه السرية فى شهر جمادى الآخرة من السنة الثامنة ، ومن نتائجها أنها أعادت للمسلمين هيبتهم فى شمال الجزيرة .

٧ – سرية أبى عبيدة إلى جهينة :

وفى رجب بعث النبى – ﷺ – أبا عبيدة عامر بن الجراح على رأس ثلثمائة رجل من أصحابه إلى حى من جهينة بالقبلية (١) مما يلى ساحل البحر .

وقد زود النبى – ﷺ – أبا عبيدة ومن معه عند خروجهم بجراب من تمر ، وفى الطريق فنى زادهم واشتد بهم الجوع حتى أَكَلُوا الخبط (٢) يبلونه بالماء ويأكلونه حتى تقرحت أشداقهم .

وكان فى القوم قيس بن سعد فنحر لهم ثلاث جزر فى كل يوم جزور ، وفى اليوم الرابع أراد أن ينحر فنهاه أمير السرية أبو عبيدة ، لأن قيساً كان قد أخذ تلك الجزر بدين على أبيه فخاف أبو عبيدة ألا يفى له

---

(١) القبلية : اسم موضع بينه وبين المدينة خمس ليال .

(٢) الخبط : ورق شجر السلم وهو شجر عظيم له شوك .

أبوه بما استدان فقال قيس : أترى سعدا يقضى ديون الناس ويطعم فى المجاعة ولايقضى ديناً استدنته لقوم مجاهدين فى سبيل الله ؟

قال صاحب المواهب : « وأخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر فأكلوا منها وتزودوا ورجعوا إلى المدينة ولم يلقوا كيداً ولا حرباً — بعد أن مكثوا ينتظرون العدو خمسة عشر يوماً — فلما أخبروا النبى — ﷺ — بذلك قال لهم : « هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا ، فأعطوه مما بقى منه معهم ، فأكل منه — ﷺ » (١) .

ويرى بعد المؤرخين أن هذه السرية لم تكن لتأديب جهينة فحسب ، وإنما أرسلها النبى — ﷺ — لتلقى عيراً لقريش بعض أن نقض المشركون عهودهم باعتدائهم على قبيلة خزاعة ، ولكن العير نجت قبل وصولهم .

وتعرف هذه السرية بسرية الخبط لأكلهم فيها الخبط ، كما تعرف بسرية سيف البحر ، أى ساحله ، لأن المسلمين عسكروا هناك زهاء نصف شهر .

٨ — سرية أبى قتادة إلى نجد :

وفى شعبان من السنة الثامنة بعث النبى — ﷺ — أبا قتادة بن ربعى الأنصارى ومعه خمسة عشر رجلا إلى بطن من غطفان بأرض نجد ، وأمره بأن يشن الغارة عليهم لإيذائهم المسلمين .

فخرج أبو قتادة ومن معه فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى وصلوا إلى ديار أعدائهم فهاجموهم وقتلوا من برز منهم ، ثم استاقوا كثيراً من إبلهم وماشيتهم فكان ما غنموه من الإبل مائتى بعير ومن الغنم ألفى شاة ثم عادوا ظافرين إلى المدينة بعد أن أدبوا الخائنين والمتمردين .

---

(١) شرح المواهب للزرقانى ص ٢٨٤ .

٩ – سرية أبى قتادة إلى بطن إضم :

فى مطلع رمضان من السنة ذاتها أرسل النبى – ﷺ – أبا قتادة – أيضاً – فى ثمانية نفر إلى بطن إضم (١) وذلك لأنه – ﷺ – عندما هم بفتح مكة بعث هذه السرية لكى يوهم المشركين بأنه لا يريد التوجه إلى مكة وإنما يريد التوجه إلى ذلك المكان ، فيأمن المشركون جانب المسلمين فلا يستعدوا لملاقاتهم .

وكان فى تلك السرية رجل يدعى محلم بن جثامة الليثى ، فمر بهم عامر بن الأضبط الأشجعى فسلم على أبى قتادة ومن معه بتحية الإسلام ، فأمسك عنه القوم عند ذلك ، ولكن محلم بن جثامة حمل عليه وقتله وسلبه بعيره ومتاعه ، فلما قدمت السرية على رسول الله – ﷺ – وأخبرته الخبر غضب غضباً شديداً وأنزل الله قوله – تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا ضَرَبْتُم فى سبيلِ الله فَتَبينوا ، ولا تَقولُوا لِمن أَلْقَى إلَيْكُم السلم (السلام) لستَ مؤمناً ، تَبْتَغُونَ عرضَ الحياة الدُّنيا فَعِنْدَ الله مَغَانِمُ كَثِيرة كذلِك كُنْتُم مِنْ قبلُ فمنَّ الله عَليكُمْ فَتبينُوا ، إن الله كانَ بما تَعْمَلونَ خبيراً** ﴾ (٢) .

١٠ – هدم الطواغيت :

وفى رمضان من السنة الثامنة تم فتح مكة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ودانت جزيرة العرب للمسلمين ، وأخذ النبى – ﷺ – فى تحطيم الأصنام التى كانت تعبد من دون الله .

ففى اليوم الخامس من فتح مكة أرسل – ﷺ – خالد بن الوليد

---

(١) بطن إضم : اسم موضع بين ذى خشب وذى المروة على بعد ثلاثة برد من المدينة

(٢) سورة النساء الآية ٩٤ .

إلى العزى ليهدمها – وكانت العزى أكبر صنم لقريش ، وكان هيكلها ببطن نخلة – فتوجه إليها خالد فى ثلاثين رجلا من المسلمين فهدمها .

ثم بعث النبى – ﷺ – عمرو بن العاص ومعه بعض الصحابة لهدم « سواع » وهو أعظم صنم لهذيل ، وهيكله على ثلاثة أميال من مكة ، فذهب إليه عمرو فلما انتهى إليه قال له السادن : ماتريد ؟ قال . أمرنى رسول لله – ﷺ – أن أهدمه قال لا تقدر على ذلك . فقال له عمرو ولم ؟ فقال السادن : إنك ستمنع من هدمه . ولكن عمراً لم يلتفت إليه بل انقض على الصنم فكسره وأمر أصحابه أن يسووا هيكله بالأرض .

ثم بعث – ﷺ – سعد بن زيد الأشهلى فى عشرين فارساً لهدم « مناة » وهى صنم لكلب وخزاعة وهيكلها بمكان يقال له المشلل (١) فلما انتهى إليها هدمها هو وأصحابه ثم عادوا إلى رسول الله – ﷺ – وكان ذلك لست ليال بقين من رمضان من السنة الثامنة .

ثم أرسل النبى – ﷺ – فى شهر شوال الطفيل بن عمرو الدوسى إلى ذى الكفين . وهو صنم لعمرو الدوسى – وأمره بهدمه ، فخرج الطفيل سريعاً إليه فهدمه وجعل يلقى بالنار على وجهه ، ثم عاد بأربعمائة من قومه إلى رسول الله – ﷺ – لكى يصحبوه فى غزوة الطائف .

١١ – سرية أبى عامر إلى أوطاس :

وفى أعقاب غزوة حنين فى شوال من السنة الثامنة ، أرسل النبى – ﷺ – أبا عامر عبيد بن سليم الأشعرى فى جماعة من أصحابه لقتال الفارين من هوازن بعد غزوة حنين ، وكانوا قد عسكروا فى أوطاس (٢) .

---

(١) المشلل : جبل على ساحل البحر .

(٢) أوطاس : واد بديار هوازن

فانتهى إليهم أبو عامر ومن معه فإذا هم مجتمعون ، فدعاهم أبو عامر إلى الإسلام فأبوا فأخذ يقاتلهم حتى بدد شملهم وفرق جمعهم .

وفى هذه المعركة استشهد أبو عامر بعد أن قتل من المشركين بضعة عشر رجلا ، وتولى إمارة السرية من بعده ابن أخيه أبو موسى الأشعرى ، فقاتل هوازن حتى انتصر عليهم وظفر بكثير من الغنائم والسبايا .

وعندما أصيب أبو عامر جاءه ابن أخيه أبو موسى الأشعرى فقال له أبو عامر : يابن أخى .. أقرئ النبى – ﷺ – منى السلام ، وقل له يستغفر لى ، ثم مات . قال أبو موسى : فلما رجعت إلى المدينة وأخبرت النبى – ﷺ – بما قال عمي أبو عامر دعا – ﷺ – بماء فتوضأ ثم رفع يديه وقال : « اللهم اغفر لأبى عامر ، اللهم اجعله يوم القيامة فى الجنة فوق كثير من خلقك » .

١٢ – سرية قيس إلى صداء :

وبعد أن رجع النبى – ﷺ – إلى المدينة ، بعث قيس بن سعد ابن عبادة الخزرجى على رأس أربعمائة من أصحابه إلى قبيلة صداء باليمن ليدعوهم إلى الإسلام ، وأمره أن يقاتلهم إذا لم يستجيبوا .

وبعد أن خرج قيس ومن معه لأداء مهمتهم ، قدم زياد بن الحارث الصدائى فسأل عن ذلك البعث ، فأخبروه بأنه خارج إلى قبيلة صداء .

فقال زياد للنبى – ﷺ – : يارسول الله ، إنى جئتك وافدا عمن ورائى ، فرد الجيش وأنا أتكفل لك بإسلام قومى وطاعتهم .

قال النبى – ﷺ – لرجل من المسلمين : اذهب إلى قيس وصحبه فردهم ، فذهب الرجل وأخبرهم ، فعادوا بعد أن وصلوا إلى واد خارج المدينة يقال له قنا . أما زياد فإنه رجع إلى قومه ، ثم قدم إلى المدينة بعد

خمسة عشر يوما على رأس وفد منهم تعداده خمسة عشر رجلا ، فنزلوا ضيوفاً على سعد بن عبادة ثم بايعوا رسول الله - ﷺ - على الإسلام ، وقالوا له : نحن لك على من وراءنا من قومنا .

فقال النبى - ﷺ - لزياد : إنك مطاع فى قومك ياأخا صداء . فقال زياد : بل الله هو الذى هداهم يارسول الله .

ولما رجعوا إلى قومهم فشا فيهم الإسلام ، وقدم على رسول الله مائة منهم فى حجة الوداع .

١٣ - سرية عيينة إلى بنى تميم :

ثم أرسل النبى - ﷺ - بشر بن سفيان العدوى إلى بنى كعب من خزاعة لجمع صدقات أموالهم فمنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء ما فرض عليهم .

فلما علم بذلك رسول الله - ﷺ - أرسل إليهم عيينة بن حصن الفزارى فى خمسين فارساً من الأعراب ليس فيهم أحد من المهاجرين أو الأنصار ، فكان عيينة ومن معه يسيرون الليل ويكمنون النهار .

ولما وصل عيينة ومن معه إلى بنى تميم حاربهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا ، وإحدى وعشرين امرأة ، وثلاثين صبياً ، ثم توجه بالكل إلى المدينة ، ثم أقبل وفد من زعماء بنى تميم على رسول الله - ﷺ - وكان فيهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الأهتم ، فجلسوا ينتظرون مقدمه ، فلما أبطأ عليهم نادوا من وراء الحجرات بصوت جاف : يامحمد ،اخرج إلينا نفاخرك ، فإن مدحنا زين ، وإن ذمنا شين . فخرج إليهم - ﷺ - وقد تأذى من صياحهم وفيهم نزل قوله - تعالى - ﴿ **إن الّذينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الحُجُرَاتِ أكثرُهُم لا يَعْقِلُون * ولو أنّهم صبروا حتَّى تَخْرُجَ إلَيْهِم لكانَ خيراً لَهُم والله غفُور رَّحِيم** ﴾ .

وكان الوقت وقت الظهيرة ، فأذن بلال ، ودخل النبى – ﷺ – للصلاة فتعلقوا به وقالوا : نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك،فقال – ﷺ – : « ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت » وبعد صلاة الظهر اجتمع من حوله رجال الوفد يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم ، فلما فرغوا أمر النبى – ﷺ – ثابت بن قيس ، وحسان بن ثابت فردا على القوم بكلام أبلغ من كلامهم .

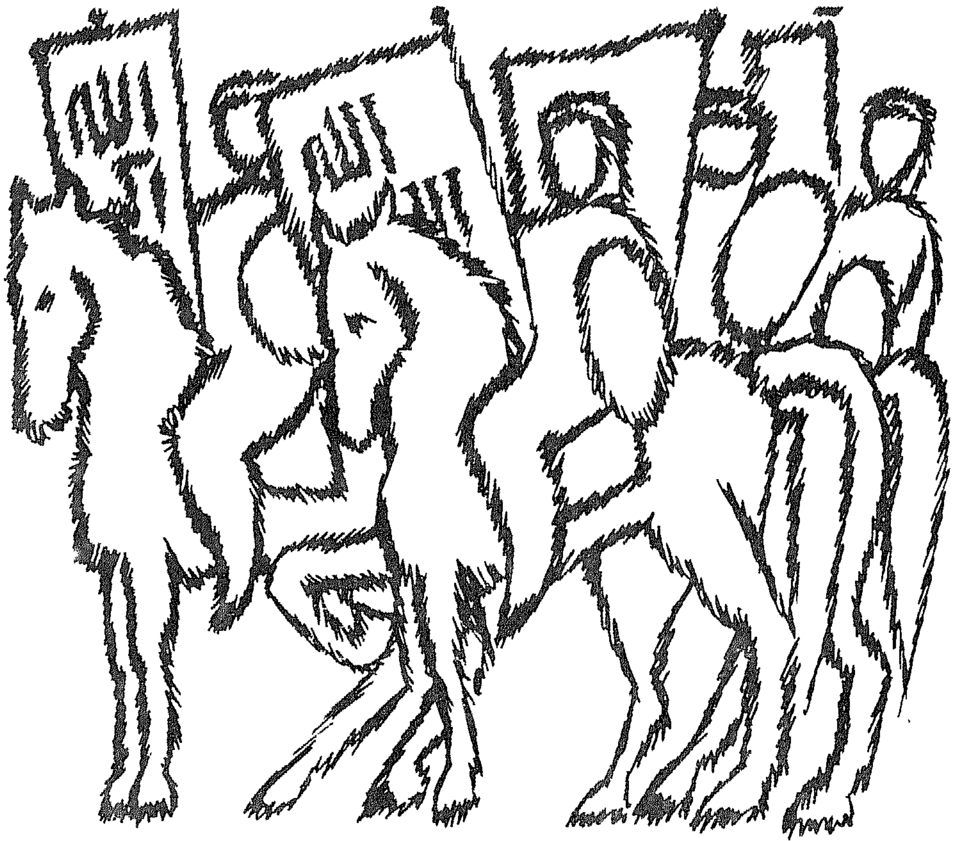
فقال الأقرع بن حابس لبنى تميم : وأبى إن هذا الرجل لَمُؤتَّى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا .

ثم أسلم القوم ، فرد النبى – ﷺ – عليهم أسراهم ، وأحسن جائزتهم وأقاموا فى المدينة فترة يتعلمون فيها القرآن ويتفقهون فى الدين وكانت هذه السرية فى ذى الحجة من السنة الثامنة ، هذا ، وفى هذه السنة قاد النبى – ﷺ – أصحابه فى الغزوات الآتية :

غزوة الفتح الأعظم وكانت فى شهر رمضان ، ثم تلتها غزوتا حنين والطائف .



سرايا
السنة التاسعة





١ - سرية على لهدم صنم طىء :

انتهت السنة الثامنة بارتفاع راية الإسلام فى أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية ، وأقبلت السنة التاسعة وفيها بعث النبى - ﷺ - مبعوثاً لإحقاق الحق وإبطال الباطل - ومن أهم هذه البعوث ما يأتى :

في شهر ربيع الثانى من هذه السنة بعث النبى - ﷺ - علياً فى خمسين ومائة رجل إلى الفُلس - وهو صنم طىء - ليهدمه .

وكان مع على مائة بعير وخمسون فرسا ، ومعه راية سوداء ولواء أبيض ، فوصل بمن معه إلى ديار طىء مع الفجر ، فتقدم بجنده إلى صنم طىء فهدموه ثم حرقوه ، وعندما تعرض له بنو طىء يمنعوه من ذلك مال عليهم بأصحابه فهزمهم وساق نعمهم وشاءهم وأخذ بعضهم أسارى ، وكان من بين الأسرى سفانة بنت حاتم الطائى .

وبعد أن رجع على ومن معه بالأسرى والغنائم إلى المدينة ، ووقف الأسرى بين يدى رسول الله - ﷺ - نهضت من بينهم سفانة فقالت : يارسول الله ، هلك الوالد وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تفك إسارى ولا تشمت بى أحياء العرب ، فإن أبى كان سيد قومه ، أنا سفانة ابنة حاتم الطائى الذى كان يطعم الطعام ، ويفشى السلام ، وماأتاه أحد فى حاجة فرده خائبا .

فتأثر النبى – ﷺ – لقولها وأمر بفك إسارها وقال : خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق .

وهنا رفعت سفانة يديها إلى السماء وقالت : يامحمد ، أصاب الله ببرك مواضعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ، ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا وجعلك سبباً فى ردها إليه . ثم أسلمت . فكساها – ﷺ – وأعطاها نفقة وأذن لها فى القدوم على أخيها ببلاد الشام .

فلما التقى بها أخوها عدى قال لها ما ترين فى هذا الرجل ؟ قالت : أرى أن نلحق به سريعا ، فإن يكن نبيا فلسابق إليه فضل وإن يكن ملكا فلن نزال فى عز اليمن وأنت أنت . قال : والله هذا هو الرأى . ثم قدم على رسول الله – ﷺ – فأسلم.

وقد ساق ابن كثير قصة إسلام عدى بن حاتم فقال ما ملخصه : « قال عدى : فخرجت حتى قدمت على رسول الله – ﷺ – بالمدينة ، فدخلت عليه وهو فى المسجد فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدى ابن حاتم،فقام رسول الله – ﷺ – وانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بى إليه إذ لقيته امرأة كبيرة فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها قال : فقلت فى نفسى : والله ما هذا بملك . قال : ثم مضى بى رسول الله – ﷺ – حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوه ليفاً فقذفها إلىَّ فقال : اجلس على هذه . قال : قلت : « بل أنت » فقال : اجلس عليها . فجلست ، وجلس رسول الله – ﷺ – بالأرض . قال : فقلت فى نفسى:والله ما هذا بأمر ملك .

ثم قال : « إيه ياعدى بن حاتم ألم تك ركوسيا ؟ أى على دين هو بين النصرانية والصابئة – قال : فقلت:بلى . قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع ؟ قال : فقلت : بلى . قال : فإن ذلك لم يكَن ليحل لك فى دينك قال : فقلت : أجل والله . قال : وعلمت أنه نبى مرسل يعلم

ما لم يعلمه غيره من الناس . ثم قال : لعلك يا عدى إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة علوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لاتخاف . ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان فى غيرهم ، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم،قال عدى : فأسلمت . وكان يقول : مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن ، فقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لاتخاف حتى تحج هذا البيت . وأيم الله لتكونن الثالثة ، وهى أنه ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه »[1] .

٢ - سرية معن لهدم مسجد الضرار :

وفى رجب من السنة التاسعة تهيأ النبى - ﷺ - لغزو الروم بأصحابه فى زمن عسرة من الناس ، وجدب البلاد ، وشدة الحر .

قال ابن إسحاق : « ثم أقبل رسول الله - ﷺ - حتى نزل بذى أوان [٢] ، أتاه جماعة من المنافقين فقالوا : يارسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه » . فقال : « إنى على جناح سفر وحال شغل ، ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه » .

وكانوا المنافقون قد بنوا هذا المسجد ليعارضوا به مسجد قباء ، وليفرقوا به كلمة المسلمين . فلما علم النبى - ﷺ - بذلك دعا مالك ابن الدخشم - أخا بنى سالم بن عوف - ومالك بن عدى - أخا بنى

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٦٥ طبعة بيروت .

(٢) مكان بالقرب من المدينة .

العجلان فقال لهما : « انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرقاه »[1] .

فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى فدخل إلى أهله وأحضر ناراً كثيرة ، ثم أسرعا السير إلى مسجد الضرار فدخلاه وفيه بعض المنافقين ، فحرقاه وهدماه ، تلبية لأمر رسول الله - ﷺ - .

ونزل قوله تعالى : ﴿ **والذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدا ضِراراً وكُفْراً وتَفْرِيقاً بينَ المؤمنينَ وإرصاداً لِمَن حَارَبَ الله ورسُولَه من قبلُ ولَيَحْلِفُنَّ إنْ أردنا إلا الحسنى والله يشهدُ إنَّهم لكاذِبُون * لا تَقُم فيه أبدا لمسجد أسِّس على التقوى مِنْ أولِ يَوْم أحق أن تقومَ فيه فيهِ رجالٌ يحبونَ أن يَتطَهَّروا والله يحب المطَّهرين * أفَمَنْ أسَّس بنيانه على تقوَى من الله ورِضوانٍ خير أمْ مَنْ أسَّسَ بنيانَه على شَفَا جُرف هارٍ فانهار بِه فى نارِ جهنم والله لا يهدى القومَ الظالمين * لا يزالُ بنيانهُم الذى بنوا رِيبَةً فِي قلوبِهم إلا أنْ تَقطعَ قلوبُهم والله عليم حكيم** ﴾[2] وبذلك قضى النبى - ﷺ - على معقل من معاقل الفتنة التى كان المنافقون يدبرون مؤامراتهم فيها .

ثم بعث النبى - ﷺ - بعد ذلك المغيرة بن شعبة الثقفى إلى الطائف لهدم اللات - وهو صنم ثقيف - فتوجه إليه وهدمه حتى سواه بالأرض .

وفى هذه السنة حدثت غزوة تبوك وهى آخر غزوة غزاها رسول الله - ﷺ - .

---

(١) سيرة ابن هشام ٤ ص ١٨٥ .

(٢) سورة التوبة : الآيات ١٠٧ - ١١٠

سرايا
السنة العاشرة





١ – سرية خالد إلى نجران :

وبانتهاء السنة التاسعة وإقبال السنة العاشرة التى تسمى بعام الوفود ، بعث النبى – ﷺ – بعض أصحابه لنشر دين الله فى الأرض ، وكان من بين البعوث سرية خالد بن الوليد إلى بنى عبدالمدان بنجران من أرض اليمن .

وكان النبى – ﷺ – قد أمر خالداً أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاث مرات ، قبل أن يقاتلهم . فلما قدم عليهم خالد وصحبه بعث الركبان فى كل وجه يدعون إلى الإسلام ويقولون : أيها الناس ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ودخلوا فى دين الله أفواجا . وأقام خالد ومن معه بينهم يعلمهم الإسلام والقرآن ، وكتب إلى رسول الله – ﷺ – بذلك . فكتب إليه النبى – ﷺ – أن يقدم ومعه وفدهم ، فقدموا ، وحين اجتمعوا برسول الله – ﷺ – سألهم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ، ولانبدأ بظلم . قال : صدقتم ، وأمر عليهم زيد بن الحصين .

وكانت هذه السرية فى شهر ربيع الثانى أو جمادى الأولى من السنة العاشرة .

٢ – سرية على إلى بنى مذحج :

وفى شهر رمضان من السنة نفسها أرسل النبى – ﷺ – على بن أبى طالب فى جمع من الصحابة إلى بنى مذحج باليمن ، وعممه بعمامة فى يده ثم قال له : « سر حتى تنزل بساحتهم فادعهم إلى قول : لا إله إلا الله ، فإن قالوا نعم فمرهم بالصلاة ولا تبغ منهم غير ذلك ، ولأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس ، ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك .

فلما انتهى إليهم على بأصحابه لقى جموعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ، ورموا المسلمين بالنبال ، فصف على أصحابه وأمرهم بالقتال فانقضوا على بنى مذحج فهزموهم ، ثم لحقهم فدعاهم إلى الإسلام فأجابوا دعوته وبايعه رؤساؤهم وقالوا له : نحن على من وراءنا من قومنا ، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله ، ففعل ثم رجع على إلى رسول الله – ﷺ – فوافاه بمكة فى حجة الوداع .

٣ – البعوث إلى اليمن :

ثم بعث النبى – ﷺ – عدداً من أصحابه إلى أماكن مختلفة من بلاد اليمن ، فبعث معاذ بن جبل على الناحية العليا من جهة عدن ، وبعث أبا موسى الأشعرى على الناحية السفلى وأوصاهما – ﷺ – بقوله : « يسرا ولاتعسرا وبشرا ولاتنفرا » .

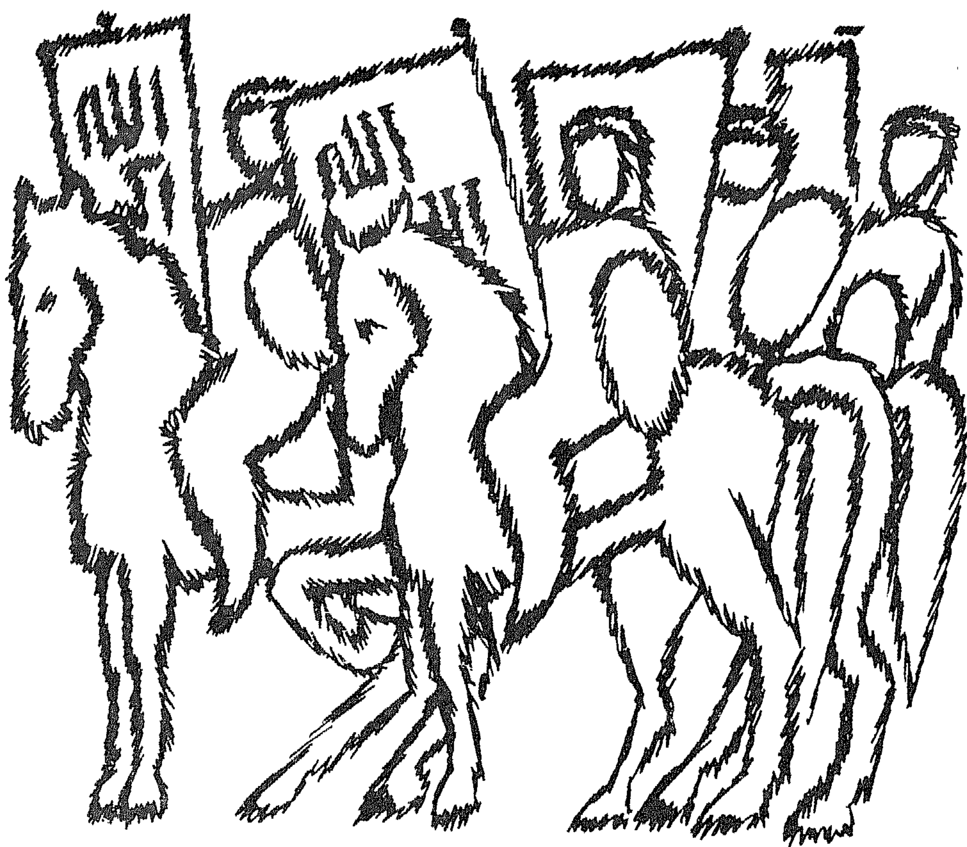
وروى الإمام أحمد – بسنده – عن معاذ أن رسول الله – ﷺ – لما بعثه إلى اليمن خرج معه ومعاذ راكب ورسول الله يمشى تحت ظل راحلته ثم قال له : يامعاذ إنك عسى ألا تلقانى بعد عامى هذا ، ولعلك أن تمر بمسجدى وقبرى . فبكى معاذ لفراقه ، ثم قال له : إنك ستأتى قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً

رسول الله ، فإن أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب .

وقد مكث معاذ باليمن حتى توفى رسول الله - ﷺ - أما أبو موسى فقدم على رسول الله في حجة الوداع .



آخر البُعوث النبويّة





سرية أسامة إلى أبنى (١) :

بعد أن عاد النبى – ﷺ – من حجة الوداع ، كانت عنايته متجهة إلى ضرورة توطيد سلطان المسلمين على حدود الشام ، فإن دولة الروم وأتباعها من قبائل العرب كانوا ما زالوا يناوئون الدولة الإسلامية .

ولذلك أمر النبى – ﷺ – الناس فى أواخر صفر من السنة الحادية عشرة بالتهيؤ لغزو الروم . ثم دعا أسامة بن زيد فقال له : « سر إلى موضع أبيك – بأبنى – فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش ، فأغر صباحا على أهل أبنى ، وأسرع السير لتسبق الأخبار ، فإن أظفرك الله بهم فأقل اللبث فيهم ، وخذ معك الأدلاء ، وقدم العيون والطلائع معك » .

ثم عقد النبى – ﷺ – لأسامة لواء بيده وأوصاه بقوله : « اغز باسم الله ، وفى سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله » فخرج أسامة بلوائه معقوداً فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمى وعسكر بجيشه بالجرف .

ولم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا اشترك فى هذا

---

(١) أبنى : اسم موضع قريب من مؤتة .

الجيش ، وكان من بين أفراده أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وغيرهم . وقد اعترض بعض الناس على تأمير أسامة – وهو شاب لم يتجاوز العشرين من عمره – على جيش فيه كبار المهاجرين والأنصار ، وعلم النبى – ﷺ – بذلك – وكان فى مرض موته – فغضب غضباً شديداً ، وخرج إلى الناس ، وقد عصب رأسه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة ، ولئن طعنتم فى تأميرى أسامة فقد طعنتم فى تأميرى أباه من قبله . وأيم الله إنه كان لخليقاً بالإمارة وإن ابنه من بعده لخليق بها ، وإنه كان أحب الناس إلىّ ، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم » .

ثم نزل – ﷺ – فدخل بيته ، وأقبل المسلمون الذين كانوا مشتركين فى جيش أسامة ليودعوا رسول الله قبل أن يمضوا إلى معسكراتهم .

ثم ثقل المرض على رسول الله – ﷺ – فجعل يقول : « أنفذوا بعث أسامة » .. وجاء أسامة ليودع النبى – ﷺ – قبل سيره بجيشه . فلما دخل عليه جعل – ﷺ – يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة ، ثم قال له ، « اغد على بركة الله » ثم قال له : استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك .

فودع أسامة رسول الله – ﷺ – ثم خرج إلى معسكره فأمر الناس للرحيل ، وبينما هو يريد الركوب والمسلمون معه يتهيئون للسير ، إذا برجل يأتى إليه ليقول له : إن رسول الله – ﷺ – يموت » .

فأقبل أسامة ومعه عدد من الصحابة إلى بيت رسول الله – ﷺ – فوجدوه فى اللحظات الأخيرة من حياته ، ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى بعد وقت قليل .

وعاد المسلمون إلى المدينة ليشتركوا فى جهاز رسول الله - ﷺ - ودفنه ، فلما فرغوا من ذلك ، وتمت البيعة لأبى بكر فى تلك الظروف العصيبة ، أشار بعض الناس على أبى بكر أن يؤجل إنفاذ جيش أسامة إلى أن ينتهى المسلمون من تأديب المرتدين ، ولكن أبا بكر - رضى الله عنه - أصر على إنفاذ بعث أسامة .. وقال كلمته المشهورة : « والذى نفسى بيده لوظننت أن السباع تختطفنى لأنفذت جيش أسامة كما أمر النبى - ﷺ - » ثم أمر منادياً ينادى فى الناس بأن يتهيأ للخروج مع أسامة كل من انتدب لذلك فى عهد رسول الله - ﷺ - ومن أبطأ عن الخروج معه فإنه سيلحقه به ماشياً ، فلم يتخلف عن الخروج أحد .

وكانت حجة المعارضين لإنفاذ جيش أسامة تعتمد على أن المتمردين على تعاليم الإسلام قد كثر عددهم بعد وفاة رسول الله - ﷺ - وأن الأجدر بهذا الجيش الذى يقوده أسامة أن يبقى داخل المدينة ليدفع عنها الخطر المحيط بها ، ولكن الصديق - رضى الله عنه - بيّن لهم أن الخطر فى عدم إنفاذ جيش أسامة ، وأن الخير كل الخير فى إنفاذه تلبية لوصية رسول الله - ﷺ - وليكون إنفاذه دليلا مادياً على أن الإسلام مازال قوياً ، وأن حالة المسلمين الحربية بعد وفاة نبيهم - ﷺ - لاتقل عن حالتهم قبل وفاته .. وأنهم لم يتزعزعوا من هول ماأصابهم ، بل هم على استعداد أن يؤدبوا كل متمرد على تعاليم الإسلام .

وخرج أبو بكر يودع الجيش وهو يمشى على قدميه ، وأسامة راكب على فرسه ، فقال أسامة : ياخليفة رسول الله ، لتركبن أو لأنزلن ، فقال أبو بكر : والله لاتنزل ولا أركب وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة .

ثم أوصى أبو بكر أسامة ومن معه بقوله : لاتخونوا ، ولا تغدروا ولاتغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيراً ، ولاتعزقوا نخلا

ولا تحرقوه ، ولاتقطعوا شجرة مثمرة ولاتذبحوا شاة ولابقرة ولا بعيراً إلا للأكل » .

ثم سار الجيش فى طريقه إلى أهل أبنى ، فوصل ديارهم بعد عشرين ليلة ، فشن الغارة عليهم ، وقتل من اعترض منهم وحرق بعض دورهم وأشجارهم وأجال خيله فى ساحاتهم وعرصاتهم وقتل قاتل أبيه ، وغنم غنائم كثيرة . وبعد أن انتصر عليهم هذا النصر المؤزر أمر الناس بالرجوع إلى المدينة ، وفى الطريق بعث إلى الخليفة أبى بكر من يبشره بما أتمه الله على المسلمين من نصر : وعندما اقترب أسامة وجيشه من المدينة خرج إليهم أبو بكر والمسلمون يهنئونهم بسلامة العودة وذهب أسامة إلى مسجد رسول الله – ﷺ – فصلى ركعتين شكرا لله على ما وهبهم من فوز وظفر ثم انصرف إلى بيته .

وهكذا نفذ أبو بكر ونفذ أسامة أمر النبى – ﷺ – وعاد بجيشه الظافر إلى المدينة يتقدمه اللواء الذى عقده رسول الله بيده قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى .. وكان شعار المسلمين فى هذه المعركة « يامنصور أمت أمت » وكانت الفترة التى غاب فيها أسامة ومن معه عن المدينة تبلغ أربعين يوماً .

أما بعد : فهذه هى أهم السرايا والبعوث التى تمت فى العهد النبوى ومنها ترى أن أبطال هذه السرايا لم يخرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ، وإنما خرجوا لينشروا فيهم نور الله بعد أن خيم عليهم الظلام وشردهم الضلال وأضناهم الكلال ، وليضعوا أيديهم فى أيدى الذين استجابوا للحق وليقولوا لهم : تعالوا إلينا فإنه : ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾ (١) .

(١) سورة المائدة الآية ١٥ – ١٦ .

خرجوا يسيرون من بلادهم إلى المشارق والمغارب ، متحملين بصبر وإيمان متاعب الأسفار ، ومرارة الجوع والعطش ، ليكونوا دعاة توحيد وأخوة ، ورسل شريعة عادلة وخلق كريم ، ورواد حضارة نقية من الفحش والشر ، لأنها تقوم على تعاليم الإسلام السامية ، وآدابه العالية وأخوته التى لا تميز بين الأقوام والألوان والأوطان ، بل تعتبر الناس جميعاً أسرة واحدة .

قال الله تعالى : ﴿ **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿ **إن هذه أمتكم أمةً واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ (٢) .

خرجوا ليحاربوا قوماً نكثوا أيمانهم ، ونقضوا عهودهم ، وأظهروا العداوة والبغضاء لدعوة الحق ، ولم يتركوها تأخذ مكانها تحت الشمس بحرية وانطلاق ، وإنما صدوا الناس عن سبيلها ، وآذوا أتباعها بأيديهم وألسنتهم ، واستمروا فى إيذائهم لهم حتى عيل الصبر ، وطفح الكيل ، وهنا شرع الله لجنده القتال فى سبيله من أجل نصرة دينه ، ومن أجل نجدة المظلوم ، وإغاثة الملهوف ، وأخذ القرآن يحرض أتباعه على غشيان معامع القتال فى سبيل الحق بأقوى ألوان التحريض وأسماها وأحكمها .

استمع إلى قول الله تعالى : ﴿ **ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا * الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى**

(١) سورة الحجرات الاية ١٣ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٢ .

سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ [١] .

واستمع إلى قوله تعالى : **﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾** [٢] .

ولقد كان المؤمنون بعد هذا التوجيه القرآنى الكريم ، متى ظهر لهم الروح العدائى من بعض الناس وأيقنوا بخطره عليهم فإنهم يسارعون إلى إخماده والقضاء عليه قبل أن يستفحل خطره ويمتد شره .

وما كانوا لينتظروا حتى يهاجمهم العدو فى بلادهم ، وإنما كانوا يذهبون إليه لأنه ما حورب قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا .

ومع ذلك فقد كانوا متى وصلوا إليه خيروه بين الإسلام أو الجزية أو القتل ، أملا فى أن يفىء إلى رشده ، ويراجع نفسه فينتزع منها روح العداء والمخاصمة .

وبهذا نرى أن قتال المسلمين لأعدائهم لم يكن بقصد الإكراه على الدين ولا بقصد التسخير والإذلال ولا بقصد الطمع فى المال وسعة الملك والسلطان ولا بقصد التشفى والشماتة .

وإنما كان القصد منه إعلاء إعلاء كلمة الله والدفاع عن النفس والعرض والذود عن المستضعف والمظلوم .

---

(١) سورة النساء الآيتان ٧٥ ، ٧٦ .

(٢) سورة الحج الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .

قال تعالى : « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين** » (١) .

وقال تعالى : ﴿ **فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** ﴾ وقال سبحانه ﴿ **فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبينا** ﴾ (٢) .

ولقد استطاع المسلمون فى فترة وجيزة من عمر التاريخ أن ينشروا سلطانهم فى المشارق والمغارب ، وأن يجعلوا كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وان يرفعوا راية الإسلام فوق كثير من الأماكن التى باض فيها الشرك وفرخ .

وما ذلك إلا بفضل الإيمان الذى خالطت بشاشته قلوبهم والعمل الصالح الذى حرصوا عليه ولم يحيدوا عنه .

الإيمان الذى صحبهم مشرقين ومغربين ، وهازمين ومهزومين ، ولم يفارقهم لحظة من لحظات حياتهم .

الإيمان الذى ملأ قلوبكم ثقة بوعد الله فى فتح الأرض والسيطرة عليها بالحق والصلاح والعدل : ﴿ **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون .** ﴾ (٣) .

الإيمان الذى يسر لهم كل عسير وذلل لهم كل صعب ، وجمع كلمتهم وقلوبهم على الجهاد فى سبيل الله والصبر على ما يلقون من متاعب وأهوال .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٠ .
(٢) سورة النساء الآيتان ٩٠ ، ٩١ .
(٣) سورة الأنبياء الآية ١٠٥

الإيمان الذى جعلهم يبتغون أشرف الوسائل للوصول إلى غايتهم ، ويضعون أحكم الخطط التى تؤدى بهم إلى الظفر ، ويباشرون أفضل الأسباب التى تبلغهم آمالهم بدون غرور أو تكاسل أو استهانة بشأن عدوهم أو المسئوليات الملقاة على عاتقهم .

إن أمتنا فى ظروفها الحاضرة بل فى كل لحظة من لحظات حياتها أحوج ما تكون إلى مثل هذا الإيمان الذى يجعل المسلم فاهماً لرسالته فى هذه الحياة ، ومؤدياً لها على خير وجه نحو خالقه ، ونحو نفسه ، ونحو المجتمع الذى هو لبنة من لبناته .

وعندما يتحقق هذا الإيمان فى نفوس مسلمى اليوم – كما تحقق فى نفوس مسلمى أمس – فلا بد أن تعز كلمتهم وترفع رايتهم وتسود دولتهم ، وتلك سنة الله التى لا تتخلف ولا تتبدل .

قال تعالى :
﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ (١) .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .



---

(١) سورة النور الآية ٥٥ .

ديار بكر
بلاد الروم
بحر الروم
بادية الشام
بلاد فارس
بحر فارس
خليج عمان
نجد
الربع الخالي
بلاد اليمن
بحر اليمن
بحر الهند
مصر
النوبة
بلاد الحبشة

خريطة تقريبية لأهم الأماكن والقبائل
التي اتجهت إليها
السرايا الحربية في العهد النبوي

فهـــرس

الترقيم المحلى : ١٩٩٠ - ٢٠٢٠
الترقيم الدولى : ٩٧٧ - ١٤٧١ - ٤٥ - ٧



مطابع الزهراء للإعلام العربي
١٤ شارع الطيران - رابعة العدوية
مدينة نصر - ت ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦
القاهرة

إن [illegible] التي نمر بها في هذه الأيام تحتم علينا أن نتدبر غزوات رسول
الله ﷺ ـ [illegible] وبعوثه ، حتى نأخذ منها الدروس النافعة ، التي تعيننا
على الصمود في وجه الطغاة المعتدين ، والتي تدفعنا إلى مواصلة الجهاد في سبيل
الله بإيمان عميق ، وعزيمة صادقة ، وخطة محكمة ، وصلابة لا تعرف الخور
أو التردد ، وحتى يتحقق لنا النصر ـ بعون الله ـ على أعدائه وأعدائنا الذين
يجثمون على بقاع غالية عزيزة من أوطاننا

الناشر

